

ابن دريد شاعراً

تاريخ قبوله للنشر: ٢٠/٧/٢٠١٠م

عزت محمود علي فارس*

ملخص

يسعى هذا البحث إلى إبراز صورة ابن دريد الأزدي البصري العُماني شاعراً، وهو من شعراء العصر العباسي المعبودين، الذي تأثر شعره بعمق بهذه المرحلة المترفّة الزاهية بكل مظاهر الحضارة والرقي، وتلمس شخصيته، وآراء النقاد والأدباء فيه وفي شعره، وبيان مؤلفاته، وتناول البحث الأغراض الشعرية التي خاض فيها، وشملت ثلاثة عشر غرضاً، بعضها تقليدي، وبعضها جدد فيه وأبدع، وهي: المدح، والهجاء والنقد الاجتماعي، والثراء، والحكمة والمثل، والوصف، والخمريات، والغزل، والفخر، والشعر التعليمي الهادف إلى تعليم الناشئة اللغة الرصينة، وحفظها وبيان معانيها؛ لتشجيع في كتاباتهم، وكذا الحنين، والشيب والشباب، والعتاب، والحماسة التي نالت حظاً وافراً من شعره، ثم كان الحديث حول أثر الإسلام في شعره الذي تحاشى النقاد والأدباء الإيحاء إليه، وتحدث عن مقصوده الشهيرة التي تناولها النقاد بالدرس والمعارضة والإشادة. وألمح البحث إلى ألمع من الملامح الفنية والبلاغية التي ازدان بها شعره، وكان لها دور إيجابي في إبراز جمالياته، فضلاً عن قدرته الشعرية وطول باعه.

Abstract

The present research endeavours to highlight the image of *Ibn Duraid Al-Azdi Al-Basri Al-Omani* as a poet. Like some Abbasid poets, his poetry has been influenced by the luxury and brilliance of the Abbasid era. The research also tackles his character and the opinion of the critics and men of letters as regards his poetry and works.

His poetic themes have been fully investigated, comprising thirteen purposes, some of which are conventional whereas others are creative and innovative, namely praise, satire and social criticism, eulogy, wisdom, parable, description, wine poems, love, pride, and didactic poetry to teach young people sound language and meanings. Furthermore, his poetry evinces yearning, blame and poems of war, this was followed by explanation the impact of Islam on Ibn Duraid's poetry, which has mostly been overlooked

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة.

by critics and writers.

The research has touches upon the renowned poem called *Al-maqsurah*, which has been praised and depraiced by many critics and men of letters. It has also shed light on the artistic and rhetorical features with which his poetry is replete.

All these have played a positive role in projecting his poetic aesthetics and competence.

تمهيد:

❖ اسمه ونسبه ونشأته:

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حسن بن حمامي بن جرو ابن واسع بن وهب بن سلمه بن حنتم بن حاضر الأزدي العماني البصري اللغوي^(١)، وينتهي بيعرب ابن قحطان، فهو من أزد عمان، حتى إن كثيراً من المصادر تدعوه العُماني^(٢)، وأزد عمان من القبائل التي استقرت في عُمان، وبها يفخر السيد الحميري، إذ يقول^(٣):

والأزْدُ أَزْدُ عُمان الأكرمونَ إذا

عُدَّتْ مآثرهم في سالفِ الزمن

بانَتْ كريمتهم عني فدارهمُ

داري وفي الرُحْبِ من أوطانهم وطني

وفيه يقول رسول الله e^(٤): "نعم القوم

الأزد، طيبة أفواههم، برة أيمانهم، نقية قلوبهم".

وقد وفد مجموعة منهم إلى البصرة^(٥)، بعد أن

مصرّها عمر بن الخطاب t. ويبدو أنهم كثروا

فيها حتى سميت البصرة بـ (بصرة الأزد)، وقال

الشاعر فيهم^(٦):

فبصرة الأزد منّا والعِراقُ لنا

والموصلان، ومنا مصرُ والحرمُ

وأما كنيته (ابن دريد) فاشتهر بها وغلبت على

اسمه، ودريد تصغير (أرد)، والدرد: ذهاب

الأسنان، والتصغير للترخيم^(٧)، وقد تأدب وتعلم

في البصرة، وقرأ على علمائها ومنهم عمه الحسين

ابن دريد، وتتلّمذ على مشايخهم وروى عنهم،

وانتسب إلى البصرة فقيل: البصري.

ويقول ابن دريد متحدثاً عن نفسه: "مولدي

بالبصرة بسكة صالح سنة ثلاث وعشرين

ومئتين"^(٨). وكان من أسرة ذات يسار من رؤساء

أهل عمان، وكان عمه من العلماء، وقد جاء

صاحب الفهرست على ذكره^(٩). وقد توزعت حياته

بين البصرة وعُمان وبلاد فارس وأخيراً العودة

إلى داره في عُمان، حيث فوجئ بالخير الكثير

الذي أودعه آل ميكال في داره دون علمه. وقد

قسّم السيد مصطفى السنوسي مراحل حياته إلى

ستة أقسام^(١٠).

وامتدت حياته قرابة قرن من الزمان، فشغلت

من عمر الدولة العباسية ما بين سنتي ٢٢٣-

٣٢١ هـ وكانت وفاته ببغداد، ودُفِنَ بالمقبرة

العباسية. وقد تصادف وقت موته مع موت

أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي المتكلم

ابن دريد ببغداد وممن برع في زماننا هذا في الشعر، وكان يذهب بالشعر كل مذهب، فطوراً يجزل، وطوراً يرق، وشعره أكثر من أن تُحصيه، أو أن تأتي على أكثره، أو يأتي عليه كتابنا هذا". وعنه يقول القفطي^(١٦): "وشعره كثير، قال لي من رآه في خمسة مجلدات، وقيل أكبر من ذلك".

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني^(١٧): "إنه كان رأساً في الأدب، يُضرب المثل بحفظه، وهو أشعر العلماء، وأعلم الشعراء، وكان له ولوع في العلم". وقال عنه السبكي^(١٨): "وأما قصيدته الريدية فقد سارت بها الركبان".

وقال عبد السلام هارون^(١٩): "كان عالماً، وطبيعة العلم في معظم الأمر تُعارض طبيعة الشعر، فإن رقة الطبع وسعة الخيال، والحياة في الأجواء الشاعرية العاطفية، ليس للعلماء منها حظ الشعراء، الذين نصّبوا أنفسهم لهذا الفن وعاشوا فيه، وقضوا فيه، وقديماً تتدرّ الأدباء بشعر العلماء وشعر النحاة، وشعر الفقهاء؛ لأن هؤلاء جميعاً يعيشون في أسلوب من الحياة العقلية يشغلهم كثيراً عن حياة العاطفة الشعرية الخالصة، وهي حياة رقيقة لها كياناتها ومقوماتها؛ لذلك كان من النادر أن يجتمع العلم والشعر في صدر واحد، لكن الأقدمين شهدوا لابن دريد بالشعر، وحفظ التاريخ لنا أقوال كثير من العلماء في ذلك".

ويقول عنه الأستاذ الدكتور عبد الإله أحمد

المعتزلي، فقال الناس: اليوم مات علم اللغة وعلم الكلام. ورثاه جحظة البرمكي بقوله^(١١)، (من البسيط):

فقدت يا بن دريد كل فائدة

لما غدا ثالث الأحجار والترب

وكنْتُ أبكي لفقد الجود منفرداً

فصرْتُ أبكي لفقد الجود والأدب

❖ آراء العلماء فيه:

تضاربت آراء العلماء والنقاد وشهاداتهم فيه تضارباً بيناً في القديم والحديث، فبينما أشاد به بعضهم، وجه إليه آخرون السهام، فمن الذين أشادوا بفضل علمه: أبو الطيب اللغوي، حيث قال^(١٢): "وهو الذي انتهى إليه علم لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً، وأقدرهم على الشعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحماه في صدر خلف الأحمر (وابن دريد)، وتصدّر ابن دريد في العلم ستين سنة".

وقال أبو بكر محمد بن رزق الأسدي^(١٣):

"كان يقال: إن أبا بكر ابن دريد أعلم الشعراء، وأشعر العلماء".

وذكره الخطيب البغدادي فقال^(١٤): "كان

ابن دريد واسع الحفظ جداً، ما رأيت أحفظ منه، وكانت تُقرأ عليه دواوين العرب كلها، أو أكثرها، فيسابق إلى إتمامها وحفظها، وما رأيت قط قرئ عليه ديوان شعر شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته له؛ لحفظه له".

وتحدث المسعودي عنه فقال^(١٥): "كان

نبهان^(٢٠): إن ابن دريد اسم لامع في مجال التراث اللغوي عند العرب، فهو مصنف كتاب الاشتقاق وكتاب الجمهرة، وحسبك بهما شهرة وعلو مكانة". ويؤكد نبهان^(٢١): "إنه لم ير أحداً من المتقدمين أو المحدثين حمل طعن أبي منصور في ابن دريد محمل الجد ولا أخذه بعين الاعتبار وجرح ابن دريد بحجة أنه يتعاطى النبيذ؛ ليقال من شأن الجمهرة ويحجب عنه ثقة العلماء، ويعلي شأن كتابه (التهذيب)".

وقد تحدث الدكتور أحمد الشرباصي عن مقصورته في كتابه (المقصورة في الأدب العربي ومقصورة رشيد رضا)^(٢٢) حيث ذكر أن من أوسع أصحاب المقصورات شهرة هو ابن دريد، وعرف به، وتحدث عن نشأته وروايته للأخبار والأشعار، وانتهى بالحديث عن مخطوطاتها وعدد طبعتها.

أما من أزروا به وطعنوا فيه فكان منهم الدارقطني عندما سئل عنه قال: "قد تكلموا فيه"^(٢٣). ومنهم أيضاً أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي، الذي قال^(٢٤): "سمعت ابن شاهين يقول: "كنا ندخل على ابن دريد، ونستحي منه؛ لما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى".

وقد عده الإمام الدلجي صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون) في جماعة المفلوكين، وقال^(٢٥): "كان يشرب الخمر إلى أن جاوز تسعين سنة".

ومنهم أبو منصور الأزهرى (توفي سنة

٣٧٠هـ) الذي تحدث عنه في مقدمة كتابه (معجم تهذيب اللغة) فيقول^(٢٦): "وممن ألف في زماننا الكتب، قرمى بافتعال العربية، وتوليد الألفاظ، وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها: أبو بكر (ويذكر اسمه)، صاحب كتاب الجمهرة، وكتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب الملاحن، وقد حصرته في داره ببغداد غير مرة، فرأيت يروى عن أبي تمام، والرياشي، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي، وسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به، ولم يوثقه في روايته، وألفيته أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة، فلم أرْدْ لا على معرفة ثاقبة، ولا قريحة جيدة، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها، ولم أعرف مخرجها، فأثبتها في كتابي في مواقعها منه لأبحث أنا وغيري عنها".

وقد ذكر محقق الاشتقاق^(٢٧) "أن في هذه الهجمة تحاملاً كبيراً، وقد ذاع كتاب الجمهرة وارتضاه العلماء منذ قديم الزمان".

ونقول: إن هذه الآراء والتعليقات -إن صحّت- تكمن في تصرفاته وسكره لا في علمه وشعره.

❖ صفاته وأخلاقه وسرعة بديهته:

نلمح من مؤلفات ابن دريد ومما قيل عنه قديماً وحديثاً، أنه كان يتميز بالذكاء، ويشيد هو نفسه بهذه الخاصية فيه فيقول في

مقدمة الجمهرة^(٢٨): "عاشرتُ العقلاء كالمسترشد، ودامجتُ الجهال كالغبي نفاسة بالعلم أن أبثه في غير أهله، وأضعه بحيث لا يعرف كنه قدره"، وهذه العبارة تدل على ذكائه وألمعيته. وترتيب منهج كتابه (الجمهرة) يدل على نكاه واسع ومفطر، فقد نهج فيه منهجاً لم يسبق إليه، فضلاً عن جمعه لكثير من الأغراض الشعرية والموضوعات في ديوانه وفي مقصودته التي طبقت شهرتها الآفاق، فيما سنأتي عليه، فضلاً عن الهدف العلمي السامي الذي اتخذه أحد الموضوعات الشعرية المهمة في شعره.

أما عن سرعة بديهته التي تعد من سمات الذكاء، فقد روى أبو علي القالي^(٢٩): "سمعت ابن خیر الوراق وقد سأله: مم اشئقَّ العقل؟ فقال على الفور: من عقال الناقاة؛ لأنه يعقل صاحبه عن الجهل؛ أي يحبسه. قال: فمم اشئقَّ اللحد؟ قال: من قولهم لحد إذا عدل إلى أحد سقي القبر".

ويروي لنا أيضاً أنه كان يسأله عن شكوكه في اللغة، وهو في مرحلة موته، فيرد بأسرع من النفس بالصواب^(٣٠)، هذا فضلاً عن قوة ذاكرته كما سبق وألمحنا بحفظ الدواوين.

وكتابه الاشتقاق آية على قوة ذاكرته وحفظه لأنساب العرب، وقد روي أنه أملى الجمهرة من ذاكرته عدة مرات لا يستعين بالنظر في شيء من الكتب^(٣١).

وكان يوصف بالظرف وعذوبة الروح^(٣٢)،

طلق الوجه، حاضر الجواب، متأثراً من المناظر، متفكراً في المعاني، جواداً سخياً في العطايا، وكان متواضعاً لئى الجانب، وفي ديوانه ما يدل على عزة نفسه، وإبائه كما يفيد هذان البيتان اللذين وجَّههما إلى ابن أبي علي أحمد بن محمد بن رستم، الذي ظن أنه احتجب عنه فيقول^(٣٣)، (من الطويل):

حِبَابُكَ صَعْبٌ يُحَبِّبُ الْحُرَّ دُونَهُ
وَقَلْبِي إِذَا سِيمَ الْمَذَلَّةَ أَصْعَبُ
وَمَا أَرْعَجْتَنِي نَحْوَ بَابِكَ حَاجَةً

فأجشُمُ نفسي رجعةً حين أُحَبِّبُ
وتتفق المصادر^(٣٤) التي ترجمت له أنه كان كريماً سخياً، وأنه كان في شبابه ذا نجدة وسماحة وشجاعة، ومما يدل على ذلك أن سائلاً طرق بابهُ، ولم يكن لديه إلا دَنٌّ من نبيذ، فأعطاه إياه، فأنكر عليه أحد غلمانه قائلاً: "تتصدق بنبيذ؟! ولا تجوز الصدقة إلا بالطيب؛ لأن الله طيب". فيجيبه: "لم يكن عندي شيء سواه"، ثم لم يلبث أن أهدي إليه عشرة دنان من النبيذ فقال للغلام: "أخرجنا دناً فجاء عشرة". يريد أن يقول إن الحسنة بعشر أمثالها كما ورد في الحديث النبوي، وهذا يدل على فكاخته وظرفه، فضلاً عن أنه يعرف أمور دينه، وإن ابتعد عنها في شرايه المحرم.

كان ابن دريد صاحب رسالة علمية، يريد أن ينقل علمه إلى غيره من مواطنيه، وما أدل على ذلك من مواصلته النتاج والعطاء العلمي

تناولها الأدباء والشعراء بالمعارضات والتوشيح والتخميس والإعراب والشروح و الترجمة إلى لغات أخرى، ولعلّ التبريزي كان من ألمع من وقف عليها بالشرح.

❖ مصادر ثقافته:

تأثر ابن دريد كثيراً بالجو العلمي المونق الذي عاشه في كنف عمه، وإحضار المعلمين له في البيت، وكان عمه الحسين بن دريد من أوائل من علّمه، ويعد هذا المصدر الأول من مصادر ثقافته. أما المصدر الثاني فهو شيوخه الكثر الذين قرّب عددهم من الثلاثين كما ذكر في ديوانه. وثالث مصادر ثقافته الكتب والدواوين الشعرية، والمصادر الأدبية واللغوية الثرة التي اطلع عليها.

وأما رابع مصادره الثقافية فكانت رحلاته المتواصلة وتنتقله بين البلاد كبغداد والبصرة وفارس وعُمان وغيرها.

❖ مؤلفاته:

ألف ابن دريد ما يقارب الثلاثين مؤلفاً ضاع بعضها، وبعضها مازال مخطوطاً، وبعضها طُبِع ونشر وهو بين أيدي طلبة العلم والباحثين. ومن الكتب المطبوعة والمنشورة:

١. كتاب الاشتقاق.
٢. جهمرة اللغة.
٣. رواد العرب.
٤. السرج واللجام.

حتى آخر رمق فيه؛ مما يومئ إلى وفائه لتلك الرسالة العظيمة، أما عن الوفاء الشخصي فقد بقي وفيّاً لآل ميكال الذين أكرموا علناً وخفية، وقابل معروفهم بمعروف، وخلّد ذكرهم بأهم مؤلف من مؤلفاته وهو (الجمهرة)، وأروع ما أبدع من شعر وهو (المقصورة)، وفاء منه لهم، فهو لا يفتأ يذكرهم ويشيد بإحسانهم حتى وهو بعيد عنهم، فيقول، (من الرّجز)^(٣٥):

إن العراقَ لم أفارقْ أهله
عن شناً، أصدّني، ولا قلى
ولا أطبى عيّني، مذ فارقتهُم

شيء، يروقُ العَيْنَ، من هذا الـوَرَى
هم الشناخيبُ، المنيفاتُ الدُّرى

والناسُ أحوالٌ، سِوَاهُم وَهُوى
وعلى هذه الشاكلة من الوفاء، نراه يشيد بمن سبق إلى التأليف المعجمي، فيقول في مقمّة جمهرته^(٣٦): "ولم أجر في إنشاء هذا الكتاب إلى الازدراء بعلمائنا، ولا الطعن في أسلافنا، وأنى يكون ذلك؟ وإنما على أمثالهم نحتذي، ويسبلهم نفتدي، وعلى ما أصلوا نبتني".

ونخلص من هذا إلى أن ابن دريد كان شاعراً من شعراء العصر العباسي، وإن كان بعض شعره قد فُقد -كما يقول القفطي- ولكن شهرته استطلت في دنيا الشعر والشعراء بقصيدته المقصورة التي أثارت ضجة كبيرة؛ لما ضمته من فن واقتدار وحكمة ومثل، وتسجيل لحوادث التاريخ وإشارات الأدب، فضلاً عن طولها، وقد

٥. صفة السحاب والغيث.
٦. المجتني.
٧. المقصور والممدود، وهي المقصورة شرح الخطيب التبريزي.
٨. الملاحن.
٩. الديوان.

١٠. كتاب الفوائد والأخبار.
 ١١. من أخبار أبي بكر بن دريد.
- وهناك كتب مخطوطة وأخرى مفقودة^(٣٧).

أولاً: أغراضه وموضوعاته الشعرية:

١. المدح:
- تعددت الأغراض والموضوعات الشعرية التي خاض فيها ابن دريد لجج الشعر والقوافي، وتتنوعت، فكان منها الشعر التقليدي الذي حدا به حذو شعراء العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وبعضها جدّد فيها وقال فيها ما يتناسب وحياته الاجتماعية التي عاشها في العصر العباسي، ذلك العصر المنفتح على الحضارة والمتأنق في العيش.
- وكان المدح من جملة الأغراض الشعرية التي ذُكرت في ديوانه، فضلاً عن موضوعاته المختلفة التي قصرها أساساً على مدح بني ميّكال في مقصوريته المشهورة، الذين لم يرضوا عليه بما وهبهم الله من متاع الدنيا، وربما وشّح مدحه بأبيات غزلية على عادة الشعراء العرب، ينتقل بعدها إلى ممدوحه.

وشعره في الديوان أو في المقصورة لم نلاحظ فيه التزلف لإرضاء ممدوحه؛ لينكسب منه، فلم يعرف عنه أبداً أنه تكسب بشعره، ولكنه أقرب ما يكون إلى الإخوانيات التي تتحدث عن ظواهر وقيم اجتماعية تمثلت في الممدوح، فأبرزها الشاعر.

وقصيدته (الثانية) التي خص فيها الحارثي العماني من وصف له بالكرم وتقديم حق الضيفان والمبالغة فيها، مبعث ذلك إعجابه بصفات الممدوح، التي ضمت إلى جانب ذلك العديد من الأغراض كالغزل والفخر بنفسه، فيقول^(٣٨)، (من الطويل):

أماطت لثاماً عن أقاحي الدمائم
بمثل أساريع الحُفوف العنّاعث
ويستمر بوصف كرمه إلى أن يقول^(٣٩):
هي النار شبّ الحارثي وقودها
ولم يقتدحها بالزناد المغالِث
فَمِلْنَا إِلَى رَحْبِ الْمَبَاءَةِ مَا جِدْ
عَظِيمِ الْمَقَارِي غَيْرِ جَبْسِ كُنَابِثٍ
وَمَالَ عَلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ مُصْلِتاً
وَهُنَّ مُعَدَّاتٌ لِدَفْعِ الْمَغَارِثِ
فَحَكَمَ سَيْفاً لَأَتْرَأَلَ ظُبَّائَهُ
مُحَكَّمَةً فِي النَّوَابِتِ الْمَنَائِثِ
إِلَى أَنْ يَقُولَ^(٤٠):

فَنَعَمْ فَتَى الْجَلَى وَمُسْتَنْبِطُ النَّدَى
وَمَلْجَأُ مَكْرُوبٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثٍ
عِيَاذُ بَنِ عَمْرِو بْنِ الْحَلِيسِ بْنِ جَابِرِ بـ
نِ زَيْدِ بْنِ مَنْظُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَارِثِ

فَلَا تُنْسِنِي الْأَيَّامُ عَهْدَكَ بِاللَّوَى
أَجَلِ إِنَّ مَا أُرْنَتْ لَيْسَ بِنَاكِثٍ
ومن ثم اتجه للحديث إلى قومه وحذرهم
من هجوم القبائل الأخرى عليهم، وهذا يذكرنا
بالشاعر لقيط الإيادي الذي حذر قومه من هجمة
كسرى عليهم حيث يقول، (من البسيط)^(٤١):
أَبْلُغْ إِيَادًا، وَخَلَّلْ فِي سَرَائِهِمْ
أَنِّي أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أَعْصِ، قَدْ نَصَعَا
يَالْهَفِ نَفْسِي، إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ
شَتَّى، وَأُحْكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
وقد مدح أحمد بن حجر بن أحمد
الجويمي^(٤٢) لفارع شرفه، وخضوع الأعناق له،
ويدعو إلى تقبيل أنامله؛ لأنهنَّ مفاتيح الأرزاق،
مشبهاً نوره بالبدر الطالع الذي لا يعلوه الرِّين،
فيقول^(٤٣)، (من الكامل):

نَهْنَه بَوَادِرَ دَمْعِكَ الْمِهْرَاقِ
أَيَّ اتْتَلَفٍ لَمْ يُرْعَ بِفِرَاقِ
حُجْرُ بْنُ أَحْمَدَ فَارُعَ الشَّرَفِ الَّذِي
خَضَعْتَ لِغُرَّتِهِ طُلَى الْأَعْنَاقِ
قَبْلَ أَنْأَمِلَهُ فَلَسَنْ أَنْأَمِلَا

لِكِنَّهُنَّ مَفَاتِيحُ الْأَرْزَاقِ
ونجد في الديوان مقطوعة شعرية يمدح
فيها ابن دريد علماء الحديث والمشتغلين فيه،
ويعد هذا من الشعر الإسلامي، فمدحه لهم
محبة في الله، ويصفهم بالصلاح والتقوى، غُرُّ
الوجوه، وزين الملاء، وهم من العِفَّةِ حيث
يسعون في طلب الحديث بكل وقار وسكينة وحياء،

هذا فضلاً عن مهابتهم وعقلهم وصلابتهم وغيرها
من المحامد التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ويشبهه
مداد أقلامهم التي يكتبون بها، بأنها أفضل و
أزكى من دم الشهداء، -على ما هم عليه من
رفعة وسمو-؛ فهم طلبة علم رسول الله ﷺ
ليس كمثلهم أحد من الناس. ولا يُعد هذا الشعر
شعراً تقليدياً، وإنما هو شعرٌ فيه الجدة والحدثة،
فيقول في قصيدة همزية^(٤٤)، (من الكامل):

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالَّذِينَ أَوْدُهُمْ
وَأَحْبُبُهُمْ فِي اللَّهِ ذِي الْآلَاءِ
أَهْلًا بِقَوْمِ صَالِحِينَ ذَوِي تَقَى

غُرُّ الْوُجُوهِ وَزَيْنِ كُلِّ مَلَاءِ
يَسْعُونَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ بَعِثَةَ
وَتَوْفُّرٍ وَسَكِينَةٍ وَحَيَاءِ
لَهُمُ الْمَهَابَةُ وَالْجَلَالَةُ وَالْثَّهَى

وفضائل جَلَّتْ عن الإحصاء
ومداد ما تجري به أقلامهم
أزكى وأفضل من دم الشهداء
يا طالبي عِلْمِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

ما أَنْتُمْ وَسَوَاكُمْ بِسِوَاءِ
ونرى ابن دريد يمدح أحد أعيان البصرة،
خاصة وهو ابن البصرة المحب لها، والخبير
بأهلها وفعالهم، وهو أبو علي يحيى بن عبد الوهاب
الملقب بالكاتب، يمدح فيه مهنته التي سَمَتَ
به، وشمائله المزدانة بالحياء، وخلقه المحبَّب
وحفظه للمكارم، وَتَطَّلُعُهُ إِلَى الْعِلْيَاءِ؛ مما يضطر
الحاسد للنظر إليه وهو مغيط، ثم يصفه بالريبع،

ومن المعروف أن الربيع ألطف شهور السنة،
طالباً إليه أن يعذّر حاسده الذي يحسده على مثل
هذه المكارم وقد استولى عليه الغيظ والهَمّ،
فيقول^(٤٥)، (من الكامل):

لأبي عليّ في المَعَالِي هِمّةٌ

تَسْمُو به وخواطرٌ أيقاظ
وشمائلُ ماءِ الحياءِ مِزاجُها

وخلائقٌ مألوفةٌ وحِفَاط
ومكارمٌ تَرْنُو إلى عَلَيّائها

عينُ الحسودِ وقلْبُهُ مُغْتَاط
فهو الرّبيعُ دُرَى فداهُ مَعَاشِرُ

أنداؤُهُم إن حُصِّلَتْ أوْشَاط
أعذرُ حسودك أن يبيتَ وقلْبُهُ

كهفانٌ مُستَوِلٌ عليه كظاظ
ولما كان ابن دريد في عداد العلماء؛ فلا

غرو إذن أن يُعَلِّيَ من شأنهم ويجلّهم، ويدعو
إلى احترامهم دون النظر إلى ملابسهم ولو كانت

رثة، ودون أن يخص عالماً منهم بعينه، ويشبههم
بالمسك الذي لا يهتم به عطاره وساحقه، على

حين يكون مكانه على جسد الملك ومفرقه وموضع
التاج منه، فيقول، (من المنسرح)^(٤٦):

لا تحقرنَّ عالماً وإن خَلَقْتَ

أثوابُهُ في عُيُونِ رَامِقِهِ
وانظرِ إليه بعينِ ذي خطر

مُهَذَّبِ الرَّأْيِ في طرائِقِهِ
فالمسكُ إذا ما تراه مُمْتَهَناً

بفهر عطّاره وساحقه

سوف تراه بِعَارِضِي مَلِكٍ

وموضِعِ التّاجِ من مَفارِقِهِ
وعلى هذه الشاكلة يشيدُ بالعالم الذي
استغنى بعلمه عن جنسه ونسبه، فيقول^(٤٧)،
(من الرّجز):

العالمُ العاقلُ ابنُ نفسه

أغناهُ جنسُ عِلْمِهِ عن جنسِهِ
كن ابن من شئتُ وكن مؤدّباً

فإنما المرءُ بِفَضْلِ كَيْسِهِ
وليس مَنْ تُكْرِمُهُ لغيرِهِ

مِثْلُ الذي تُكْرِمُهُ لِنَفْسِهِ
ونلاحظ مما تقدم من مدائح ابن دريد أنه

يبدأها أحياناً بالغزل، وأحياناً يعمد إلى المدح
مباشرة، وهو لا يَخْصُ بمدحه العظماء فقط، وإنما

يمدح العلماء، وأحياناً أهل الحديث. ومذهبه في
المدح وسط بين التأنق في الغزل، والقوّة والجرالة

في أشعار الحماسة والفخر، ومدائحه في جملتها
سهلة فيها الرّصانة والدقّة إلى جانب الدّماثة.

٢. الهجاء والنقد الاجتماعي:

لَمّا لم يكن ابن دريد مدّاحاً، فكذلك لم يكن
هَجّاءً، والهجاء الذي ظفرنا به في ديوانه عبارة

عن ثلاث مقطوعات قصيرة، أولاها تتكون من
خمس أبيات، وثانيتها من أربعة أبيات، وهي

مشهورة متناقلة بين الأدباء وأهل النحو خاصة،
وثالثتها ننقة، ثم نجد بيتاً يتيماً واحداً. وبإمعاننا

النظر فيها، نجد أنها عبارة عن دُعابات داعب
بها المهجويين أكثر من أن تكون هجاء بالمعنى

المألوف. ولعل مرد ذلك عند ابن دريد تجربته وحياته الطويلة التي خبر بها نفوس الناس، وعلم أن الهجاء مما يُلْحَقُ الأذى بنفوسهم؛ ولذا وجدناه ينقل ما يريده لأغراض أخرى تنبئ عن مقصوده دون أن يلجأ إلى هذا المثلث الخبيث الذي يؤدي النفس البشرية، فيفرغ ما يدور بخلده بالإباسة لباس الحكمة أو المثل أو حتى التعريض، ولما كان يمت إلى النحو بصلة ونسب، بل هو من أهله، ولم يعجبه تصرفات بعض النحويين واختلافهم في الإعراب، فإنه ينعي عليهم (والهدف هنا هدف تعليمي)، فيقول^(٤٨)، (من المجتث):

عَفْظِيرُ إِنَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْفَعْلِ مِنْ فَاعِلَيْنِ
فَقَالَ قَوْمٌ يُنْتَنَى لَجَمْعِنَا الهمزتين
وقال قَوْمٌ يُعَدَّى بملتنقى الساكنين
وأنت أعلم منا بذا وذاك وذَيْنِ
لأنك الدهر فعلٌ يُعْتَلُّ من جهتين

أما المقطوعة الثانية والمعروفة بشهرتها، وهي التي أجاب بها نفطويه النحوي^(٤٩)، حين هجاه، بقوله^(٥٠)، (من السريع):

لو أنزل الوحي على نفطويه
لكان ذاك الوحي سُخْطاً عليه
وشاعرٌ يُدعى بنصف اسمِه
مُسْتَأْهَلٌ لِلصَّفْعِ في أَدْعِيهِ
أَفَّ على النحو وأربابه
قد صار من أربابه نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه
وصيّر الباقي صُراخاً عليه

وفي المقطوعة الثالثة يهجو الوزير سليمان ابن مخلد بهذين البيتين، ويصفه بأنه يزيد نقصاً، وضرره يعم أكثر مما يعم حرز أبي خلاط، وأعي من أبي الفرج ابن حفص، فيقول^(٥١)، (من الوافر):

سَلِيمَانُ الْوَزِيرُ يَزِيدُ نَقْصاً
فَأَحْرَبَ بَأْنَ يَعُودَ بِغَيْرِ شَخْصٍ
أَعْمُ مَضَرَّةٌ مِنْ أَبِي خَلَاطٍ
وأعي من أبي الفرج ابن حفص
ونرى هجاءه يخلو من الشتائم والسباب، أو الإقذاع، وما هو إلا سخرية وتعريض يتجلى فيها سهولة اللفظ وقرب المعنى.

أما بيته اليتيم الذي نرى فيه قسوة وشدة في الهجاء الصريح، فيشير إلى من يغير حسبه ونسبه على ما فيه من خُبث، فيقول^(٥٢)، (من البسيط):

يا أكرم الناس آباءً ومُفْتَحَرًا
والأم الناس مَبْلُواً ومُخْتَبَرًا
لما كان ابن دريد يعيش في وسط اجتماعي يمج في مختلف الفئات، فقد أثر وتأثر بواقع مجتمعه، فهو يتحدث عن الجهل الذي هو آفة المجتمعات، فيقول^(٥٣)، (من الطويل):

جَهَلَتِ فَعَادِيَتُ الْعُلُومِ وَأَهْلُهَا
كذالك يُعَادِي الْعِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُهُ
ومن كان يهوى أن يرى مُتَصَدِّراً
ويكره لا أدري أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
ويتحدث عن الجهل وسيادة الجهال، وأن الناس مثل زمانهم كقد الحذاء، ورجال الدهر

وباطنها جوامع للحكم، يتعرض للمشكلات ويحلها،
فإنه قد رفعه وأعلاه، وليس لمن فعل الله به
ذلك خافض، يتوخى الهدى، واستنقذته يد النقي
من الزيغ، وحمل به آثار رسول الله ﷺ؛ فحكمه
يسير مع حكم الرسول كالتابع الذي لا يفارق
صاحبه، وأحكامه وقضاؤه تتفق والتنزيل، لا
يسرع إلى الرأي الملتبس، وقد مد العلم ببحور
من الفكر، متسرل بالتقوى منذ صغره وكأنه
كهل يشار إليه بالبنان بكل فضيلة، فمن ابتغى
نيل علم الشافعي، فباحة العلم عنده واسعة
تستقطب طلبته كلهم، ويدعو لقبره الذي ضم
جسده الطاهر بالسلام، وأن تسقط عليه الغيوث
السيالة، فقد غيَّب ثرى هذا القبر جسم ماجد
جليل، طالما التفَّ حول حلقاته الناس، ولئن فجعنا
الدهر بفقده، فإن أحكامه بدور زواهر، وآثاره
نجوم طالع، ونلحظ في شعره طول النفس وصدق
المحبة، ومع أن ابن دريد لم يعاصر الشافعي
ولم يعايشه، إلا أنه عايش فقهه وعلمه وكتبه،
وهذا النوع من الرثاء التقليدي وجدناه لدى شعراء
الجاهلية والأمويين كذلك، فيقول من قصيدة
استهلها^(٥٦)، (من الطويل):

بملتفتيه للمشيب طوالع

نوائد عن وريد التَّصابي روادع

ويقول:

ألم تر آثار ابن إدريس بعده

دلائلها في المشكلات لوامع

معالم يفنى الدهر وهي خوالد

وتتخفص الأعلام وهي فوارع

مثل دهورهم في تقبله، وإذا ما فسد الزمان فإن
الرجال يفسدون، أو كما يقول^(٥٧)، (من السريع):
كم عاقل أحره عقله وجاهل صدَّره جهله
وقوله، (مجزوء الكامل):

الناس مثل زمانهم

قد الحذاء على مثاله

ورجال دهر كمثل دهر

ك في تقبله وحاله

وكذا إذا فسد الزمان

ن جرى الفساد على رجاله

والبيت الثاني مأخوذ من المثل العربي

القاتل^(٥٨): "حذو القذة بالقذة؛ أي مثلاً بمثل".

٣. الرثاء:

الرثاء كما هو معلوم، ذكر مناقب المتوفى،

وإذا كان المديح قد يجد فيه الغامز مغمراً، فإن
الرثاء لا بد أن يعبر عن حقيقة ثابتة، مقادها أن
المرثي، له في قلب الرائي مكانة طيبة؛ ولذا
نراه يُشهره ويمجده، لا يبتغي من وراء ذلك مغماً
ولا مصلحة، وإنما أملاه حبه ووفاءه له، وحقيقة
صلاح المرثي الإشادة به؛ ليُعلي ذكره، ويبقيه
حيّاً في فم الدهر.

فابن دريد العالم، الذي سبق ورأيناه يمدح

العلماء ويشيد بعلمهم، نراه يرثي محمد بن إدريس

الشافعي صاحب المناقب الجليلة، مقارناً بين

المال والعلم، واقفاً إلى جانب العلم، فيصف آثاره،

وكيف تبقى خالدة بالرغم من دروس الدهر وفنائته،

فهي مناهج للهدى وموارد للرشاد، ظاهرها حكمة،

مناهجُ فيها للهدى متصرفٌ

مواردُ فيها للرِّشاد شرائعُ

إلى أن يقول:

بطيءٌ عن الرأيِ المُخوفِ التباسُهُ

إليه إذا لم يخش لبساً مُسارعُ

ويذكر مناقبه ومكانته بين علماء الدين،

فيقول (٥٧):

تسريلٌ بالتقوى وليداً وناشئاً

وخصَّ بلُبِّ الكهلِ مذُ هو يافعُ

وهُدَّبَ حتَّى لم تُشرْ بِفَضِيلَةٍ

إذا التُمِسَتْ إلَّا إليه الأصابعُ

فمن يكُ علماً الشافعيِّ إمامه

فَمَرَّتْهُ في باحةِ العِلْمِ واسعُ

ويختم مريثته بالدعاء بالسُّقيا لقبره، على

طريقة الشعراء التقليديين، ويشيد ببقاء أحكامه
الفقهية وأثاره العلمية في دنيا الناس، فيقول (٥٨):

سَلَامٌ على قَبْرِ تَضَمَّنَ جِسْمَهُ

وَجَادَتْ عَلَيْهِ المُدَجَّنَاتُ الهوامُ

لَقَدْ غَيَّبَتْ أَثَرَاؤُهُ جِسْمَ مَاجِدٍ

جَلِيلٍ إذا التَفَّتْ عَلَيْهِ المَجَامِعُ

لئن فَجَعَلْنَا الحَادِثَاتُ بِشَخْصِهِ

لَهْنٌ لِمَا حُكْمُن فِيهِ فَوَاجِعُ

فَأَحْكَامُهُ فِينَا بُدُورٌ رَوَاهِرُ

وَأَثَارُهُ فِينَا نَجُومٌ طَوَالِغُ

ويبدو أن للشافعي عنده مكانة مرموقة،

فهو في القصيدة الآتية يؤنبه، ويعدد بعض
صفاته ومناقبه؛ فهو كسحبان بن وائل في

الخطابة، وهو هادي الأنام من الضلالة، ومجيرها

من النار، وعالم لا يشقُّ له عَنان، قَطِنٌ له

القدرة على حل المشكلات، ويدعو العلماء إلى

مراجعة كتبه الواضحة بالبرهان الساطع، وفَقَّه

الله لاتِّباع كتابه وسنة رسوله، وأَمَدُهُ بالعون

حتى أناف على الخلائق، وأرشده الله إلى بطلان

المذاهب التي تأخذ بالرأي، فكأنه بالبيت الأخير

يُعرِّض بأولئك العلماء، فيقول (٥٩)، (من الكامل):

وَإِذَا قَرَأْتَ كَلَامَهُ قَدَّرْتَهُ

سَحْبَانٍ أَوْ يُوفِي على سَحْبَانٍ

لَأَقْرَأَ كُلَّ طَائِعِينَ بِأَنَّهُ

أَوَّلَاهُمْ بِفَصَاحَةٍ وَبَيَانٍ

هادي الأنام من الضلالة والعمى

ومُجيرها من جاحم النيران

نَو فِطْنَةٍ في المَشْكَلاتِ وَخَاطِرٍ

أَمْضَى وَأَنْفَذَ من شِبَاةِ سِنَانٍ

أَضَحَّتْ وَجْهَ الحَقِّ في صَفَحَاتِهَا

ترمي إليه بواضح البرهان

من حُجَّةِ ضَمَنِ الوَفَاءِ بِنَصَرِهَا

نَصُّ الرِّسُولِ وَمُحْكَمُ القُرْآنِ

اللهُ وَفَّقَهُ اتِّبَاعَ رِسُولِهِ

وَكُتَابِهِ الْأَصْلِيَّينِ في التَّبْيَانِ

وَأَمَدُهُ من عِنْدِهِ بِمَعُونَةٍ

حتى أنافَ بها على الأعيان

وأراه بطلان المذاهبِ قَبْلَهُ

ممن قضى بِالْأُلَيِّ والحِسابانِ

ولما كان الشاعر من بني الأزد في عُمان،

بل أتلّفت علماً للدين منصوباً
أهدى الردى للثرى إذ نال مهجته
نجماً على من يُعادي الحقّ منصوباً
كان الزمان به تصفو مشاريه
فالآن أصبح بالتقدير مقطوباً
كلاً وأيامه العُرّ التي جعلت

للعلم نورا وللتقوى محاريباً
ويوالي تعداد مناقب الطبري شأنه مع
الشافعي نادباً، فيقول:

إذا اقتضى الرأي في إيضاح مُشكلة
أعاد منهجها المطموس ملحوباً
ويختتمها بقوله:

إن يندبوك فقد ثلّت عُروشهم
وأصبح العلمُ مرثياً ومندوباً
أن قد طوّتك غموض الأرض في لحفٍ
وكنّت تملأ منها السهّل واللّوبا
وإذا كان قد رثى هذين العالمين الجليلين؛
لاشتراكهم جميعاً في هذا الجانب العلمي، فإن
من المناسب، بل الحري به أن يرثي من كان
سبباً بعد الله في معيشته ومن تولاه بالتربية
والرعاية، وحضّه على الجد والاجتهاد بعد وفاة
أبيه، وهو عمه وأستاذة الحسين بن دريد فيقول فيه
من قافية الضاد، مبرزاً الثنائيات المتناقضة^(٦٣)،
(من السريع):

نجمُ العلى بعدك منقض
ورُكنه الأوثق منهض
يا واحداً لم تُبق لي واحداً
يُرجى به الإبرام والنقض

وقد كانت وقعة الروضة من "تنوف" بما عرف
بيوم "الروضة"، على عادة العرب في أيامهم،
واحتزت رؤوس عدد وافر من أفراد قبيلته، فقد
رثاهم بلوعة وحزن وكمد مُمضّ، معدداً لهم،
مبرزاً خصالهم، فيقول مخاطباً المنايا^(٦٠) (من
المديد):

إنما فازت قداخ المنايا
يومَ سقى الدهر أرواح قومي

تحت ظلّ الخافقات الحنُفا
ونراه يرثي عالماً جليلاً آخر وكان صديقاً
حميماً له، وهو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري
المؤرخ، صاحب كتاب تاريخ الأمم والملوك،
وصاحب التفسير الذي يُعد به إماماً من أئمة
التفسير، فيقول بعد أن يتحدث عن القضاء
والقدر الذي لا معقب لأمره، فيرضى ويُسلم
بقضاء الله ؛ لأن القضاء واقع كرهاً أو طوعاً،
ومن ثم الدعوة إلى الصبر والتأسي، فنرى تطابقاً
يكاد يكون تاماً بين معاني وأفكار مرثيته لأبي
جعفر مع مرثية الشافعي، فهو يقول^(٦١)، (من
البسيط):

لن تستطيع لأمر الله تعقيباً
فاستنجِد الصبر أو فاستشعر الحُوبا
إلى أن يقول^(٦٢):

أودى أبو جعفر والعلم فاصطحباً
أعظم بذا صاحباً إذ ذاك منصوباً
إن المنية لم تُتلف به رجلاً

أدبل بطن الأرض من ظهرها

يوم حوت جثمانه الأرض

ولّى الردى يوم تولى به

ووجهه أزهر مُبيض

ويرثي كذلك صديقه عبد الله بن عمارة،

يرثي فيه الغيث والليث والبدر، ويفدي ثرى قبره

بنفسه، ويود لو كان يستطيع أن يقدم له جزءاً

من عمره، ويشيد بقبره ويستغرب أن يضم قبره

ثقال المزن والطود والبحر. ولعلنا نلمح أن

رثاء هنا رثاء تقليدياً كعادة الشعراء العرب في

رثاء محبيهم، فهو يقول^(٦٤)، (من الطويل):

بنفسي ثرى ضاجعت في بيته البلى

لقد ضم منك الغيث والليث والبدر

وفي هاتين المقطوعتين نرى بجلاء ووضوح

صدق العاطفة التي يفيض بها قلبه، وكلّم نفسه

باللوعة على الفجيعة التي حلّت ساحته فكانت

كارثة عليه.

٤. الحكم والأمثال:

شاعت الحكمة في أشعاره سواء أكان في

ديوانه أم في مقصوده، وكيف لا يلهج بالحكمة

ويتأثّل بها وهو المعمر الذي كاد أن يُنمّ قرناً

من الزمان، لاقى ما لاقى في أثناء رحلته الطويلة،

خبر فيها الناس، ووقف على الكثير من التجارب

الإنسانية، وشاب حياته الفقر والغنى، وتردد

بين العديد من البلدان كبغداد والبصرة وبلاد

فارس، وعُمان، فخاض غمرات هذه الحياة

ولججها، فكان أن نفت هذه الحكم على قيثارة

شعره، ضاماً الحكمة إلى المدح، حيث يرى أن

الرفاهية لا تدوم، والبؤس كذلك، فيقول^(٦٥)،

(من الطويل):

كما لم يكن عصر النضارة لائثاً

كذلك عصر البؤس ليس بلائث

أفد ما استفادته يدك فإنه

عليك إذا لم تمضيه غير ماكث

ويتحدث عن التقى ويرى أن المذخور من

التقى تنشره الأحداث أي أنه خفي في القلب،

فيقول^(٦٦):

وما الذخر إلا ما ابتأرت من التقى

إذا نُشرت مُستوعبات الحوادث

ويقول من شعره في الحكمة فيما يعرف

بـ(المُئلّة)، وشعره في هذا ينطلق من تجربة

عميقة ومشاهدة حيّة^(٦٧)، (من الرجز):

ما طاب فرع لا يطيب أصله

حمى مؤاخاة اللئيم فعُله

وكل من واخى لئيماً مثله

ومن شعره الذي يذكر به المثل قوله:

من أمّن الدهر أتى من مأمّنه

لا تستنّر ذا ليد من مكّمه

وكل شيء يُبتغى في معدّنه

وهذا مأخوذ من المثل العربي الذي يقول^(٦٨):

"من مأمّنه يؤتى الحذر"؛ أي أن الحذر لا يدفع

ما لا منه بد وإن جهّد جهده.

وقوله:

مالك إلا ما عليك مثله

لا تحمدنَّ المرءَ ما لم تَبْلُهُ
والمرءُ كالصورةِ لولا فِعْلُهُ
وقوله:

نومُ الفتى خيرٌ له من يقظةٍ
لم تُرضِهِ فيها الكرامُ الحفظة
وفي صُروفِ الدَّهرِ للناسِ عِظَةٌ

وهذا مأخوذ من قوله **أ:** [وَهُوَ الْقَاهِرُ
فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] [٦١: الأنعام].
وقولُ سيدنا عمر^(٦٩): "كفى بالموتِ واعظاً
يا عمر".

وقوله:
وفي كُلِّ شيءٍ عبرةٌ لمن عَقَلَ
قد يَسْعُدُ المرءُ إذا المرءُ اعتَلَل
يرجو غداً ودون ما يرجو الأجل
وقوله:

كم زاد في ذنبِ جهولٍ عُدْرُهُ
دَعُ أمرَ مَنْ أَعيا عليكِ أمرُهُ
يخشى امرؤُ شيئاً ولا يَضُرُّهُ
وهذا من المثل الذي يقول: المعاذِرُ
مكاذِب^(٧٠).
وقوله:

يرغبُ الصَّبْرُ مما يحمد
وإنما النَّفْسُ كما تَعُودُ
وشرُّ ما يُطْلَبُ ما لا يوجد

وقريب من هذا قول الشاعر^(٧١)، (من
البحر الطويل):

لكل امرئٍ من دَهرِهِ ما تَعُودُ
وعادةُ سيفِ الدولةِ الطَّعنُ بالعِدا
وقوله:

من يَلْدَغُ الناسَ يجدُ من يَلْدَغُهُ
لا يَعْدُمُ الباطلُ حقاً يَدْمَغُهُ
لسانُ ذي الجهلِ وشيكاً يُوقِعُهُ

وهذا من المثل القائل: "لا يُلْسع المؤمن
من جحر مرتين"^(٧٢). ويضرب لمن أُصيب ونُكِب
مرة بعد أخرى. وهو حديث نبوي كذلك.

ويوقفنا على مقصودته وهي أشهر شعره
وأجوده وأحسنه، وبها شاع ذكره وعلا نجمه
وارتفع كعبه ونظمها في مدح الحاكم عبد الله
ابن محمد الميكالي وابنه الأمير أبي العباس
إسماعيل، وقد شرحها وحققها ابن خالويه^(٧٣)،
نرى أن الحكمة قد طغت على صفحاتها مما
جعلنا ننقصى الاسترشاد بعدد وافر من أبيات
الحكمة التي فيها، ونبدأها بالبيت الذي يحمد
الله فيه؛ فالحمد من أنفس ما يذخره الإنسان
بعد التقوى، فيقول^(٧٤)، (من الرجز):

والحمدُ خيرٌ ما اتخذتْ جُنَّةً
وأنفسُ الأذخار من بعدِ التَّقَى
وكلُّ قَرْنٍ، ناجِمٍ في زَمَنِ
فَهُوَ شَبِيهُ زَمَنِ فِيهِ بَدَا
والناسُ كالنَّبْتِ، فَمِنْهُمْ رَائِقٌ
عُضٌّ، نَضِيرٌ عودُهُ، مَرُّ الجَنَى

٥. الوصف:

في تقليدنا لديوانه نجد أنه أكثر من الوصف

في ثايا بعض من قصائده في مختلف ضروب الموضوعات، وبعضه جاء في مقطوعات مستقلة، ولا ندري هل سقط منها شيء أو كانت كاملة، ونلمس في وصفه أثر البيئة والعصر الذي كان يعيش فيه، وما حفل به من ألوان الترف وفتنة العيش، فهي هو يصف قدحا من العقيق الأحمر ويستعمل لفظة فارسية (جام) فرش المسك الأنفر في قرارته، وهو مظهر من مظاهر الحضارة التي كانت طاغية حينذاك، ويشبهها بما يشاكلها في الطبيعة، فيجمع هنا بين شعر الطبيعة وترف الحضارة وغضارتها، وهي الزهرة الحمراء القانية التي سواها الربيع وأقامها في البساتين على قضيب أخضر، فيميل معها حيث مالت، كما العاشق المترنح الحيران، يركع تارة ويرفع رأسه أخرى، يمثل هذه الصورة الباذخة المونقة وعنونها الديوان: **بشقائق النعمان**؛ لأنها جمعت الأخضر والأحمر فقال^(٧٥)، (من الكامل):

جامٌ يكونُ من العقيقِ الأحمر
فُرِشَتِ قرارُته بِمِسْكِ أَذْفَرِ
خَرَطَ الربيعُ مِثَالَهُ فَأَقَامَهُ
بين الرِّياضِ على قضيبٍ أخضر
والريحُ تتركُه إذا هبَّت به
كالطَّافِحِ الْمُتَمَائِلِ الْمُتَكَسِّرِ
فتراه يركعُ ثم يرفعُ رأسَه
مُتَمَائِلًا كالعاشقِ الْمُتَحَيِّرِ
وعلى هذه الشاكلة يقدم تلك الصورة المعجبة المغرية للنفاحة، ولطالما ذكر التفاح

في شعر ابن المعتز، فضلاً عن شعراء العصر العباسي، وخاصة الجواري اللواتي كنَّ يكتبن رسائل على التفاح، فجمع بين الغزل والوصف فاجتمع الخدان في مقطوعته، خد العاشق إلى خد المعشوق بعد فراقهما، مستخدماً لفظة فارسية أخرى وهي **الجُنَّار** فقال^(٧٦)، (من الطويل):

وَنُفَّاحَةٍ مِنْ سَوَسَنِ صَيَغَ نِصْفُهَا
وَمِنْ جُنَّارٍ نِصْفُهَا وَشَقَائِقِ
كَأَنَّ النَّوَى قَدْ ضَمَّ مِنْ بَعْدِ فُرْقَةٍ
لَهَا خَدَّ مَعشوقٍ إِلَى خَدِّ عَاشِقِ
وتحدث مرة أخرى عن الخد المصهور رِقَّةً، الذي يكاد يذوب من لحظ عين المحبوب، فقال^(٧٧)، (من البسيط):

صَدُغَ كَقَادِمَةِ الْخُطَافِ مُنْعَطِفٌ
فِي وَجَنَةٍ يَجْتَنِي مِنْ صَحْنِهَا الْوَرْدُ
لَوْ ذَابَ مِنْ نَظَرٍ خَدٌّ لِرِقَّتِهِ
لَذَابَ مِنْ لَحْظِ عَيْنِي ذَلِكَ الْخَدُّ
ويلتحم عنده الوصف بالغزل، لبيدع لنا لوحة فنية ربيعية رائعة، تتسجم وطبيعة بيئة الشاعر الربيعية والمعاشية في العصر العباسي المضمخ بالتلف، فيقول^(٧٨)، (من الوافر):

عَيُونٌ مَا يُلِمُّ بِهَا الرُّقَادُ
وَلَا يَمَحُو مُحَاسِنَهَا السُّهَادُ
لَهَا حَقٌّ مِنَ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى
صِيَاغَةٌ مِنْ يَدَيْنِ لَهُ الْعِبَادُ
وأجفان من الدرر استقادات
ضياء مثله ما يستفاد

على قُضْبِ الزَّبْرَجَدِ في ذُرَاهَا

كابن دريد.

٦. الخمریات:

ذكرت بعض الأنبياء عنه أنه كان معاقراً للخمرة، بل يسكر حتى الثمالة، وقد عاب عليه العلماء والنقاد ذلك حتى أصبح مشهوراً عنه. وكنا نود أن يربأ بنفسه عن الوقوع في هذه الرذيلة والمعصية، وهو العالم الشاعر المسلم -إن صحّت التهمة-، ويربط اهتمامه بالخمرة، مع ولوعه بالكتب ودراستها، فيقول^(٨٠)، (من المتقارب):

ومن تك نزهته قِيَّنةٌ

وكأسٌ نُحْتُ وأخرى نُصَب

فَنَزَهْتَنَا واستراحتنا نَلا (م)

في العيون وَدَرَسُ الكُتُبِ؟!

وقوله في (الثانية)^(٨١)، (من الطويل):

وبتنا نُعَاطِي الرَّاحَ بعد اكْتِفَانِنَا

على مَحْزَلَاتٍ وَثَارٍ أَثَائِث

ويصف ليلة قصيرة سامر بها الكواكب

ونادَمَ نَسِيمَ الصَّبَا، وأظهرت الراح ما تخفي

النفوس، ويبرز لون الخمرة التي تشبه في لونها

لون الذهب وهو يسكبها معقودة، فيقول^(٨٢)،

(من البسيط):

وليلةٌ سَامَرَتْ عيني كواكِهُهَا

نَادَمْتُ فيها الصَّبَا والنومُ مطرود

يستتبُّ الرّاحُ ما تخفي النفوسُ وقد

جادت بما مَنَعَتْهُ الكاعِبُ الرُّود

والراح يَفْتَرُّ عن دُرٍّ وعن ذَهَبٍ

فالتبّرُ مُنْسَكِبٌ والدُّرُّ مَعْقُود

لأعينٍ من يَلَاحِظُهَا مُرَادُ

ويلتئم هذا النمط من الشعر نمطاً مولداً

حديثاً، في الوقت الذي نجد له وصفاً لنمط آخر

قديم، ويتمثل بتأنيته الطويلة، يَعمَدُ فيها إلى

تحذير قومه من وقعة شديدة تتركهم كالنساء

الحَيَضُ (الطوامث) فعَبَّرَ فيها بأبلغ تعبير، فنوق

الحارثي التي اشتركت في الحرب، أثارت كثيراً

من الغبار، وقد خرج الرجال لملاقاتها راكبين

المطايا المتشحة بسواد الليل، والأصوات مختلطة

في الفلا بأصوات الجن وصياصياها، والرياح تُلَفِّج

وجوه المطايا في الحصى والتراب، والقوم ما بين

مستتر بثوبه أو ثانٍ عامته على وجهه. صورة

واقعية متحركة تخال نفسك وأنت تقرأ الأبيات

بأنك في معركة حقيقية يكثر فيها الجلب والصخب،

فيقول^(٧٩)، (من الطويل):

وحاشاكُم من صَلْفَةٍ مُصْمِنَةٍ

تمشونَ منها في ثِيَابِ الطَّوَامِثِ

سقى الله مَثْوًى باللّوى ليلةَ التَّوْتِ

بَنَاتِ الدَّجَى مُعْدُونَاتِ الخَنَائِثِ

وقد زفرت صِرٌّ فهشَّتْ صُدُورُهَا

وجوهَ المَهَارِي بالحِصَا والكثَاكِثِ

ونلمح في وصفه: الدقة والشمول للموصوف

إذ يكاد يحيط ويلم بجوانب الموضوع جميعاً،

سواء أكان الوصف محدثاً أم قديماً، وسواء أكان

وصفه للزبرجد واليواقيت أم النرجس أم الوقعة

الحربية، وهي إحاطة لا يلم بها ويُوتَّها إلا شاعر

٧. الغزل:

عرف الشعر العربي الغزل منذ القدم، وسار في خطين متوازيين، ولونين مختلفين. أما أحدهما فيُعرف بالغزل العفيف الذي يخاطب النفس والشعور، ويلهج بالجمال وبسمة الحياة، أو ما يعرف بـ"الغزل العذري"، نسبة إلى قبيلة عذرة، وقد طفح الشعر الجاهلي والإسلامي به، وثانيهما حسي يتلمس مواطن الجمال فيكشفها، وقد يتعجل بالحديث عن إبراز المفاتن، ويتبدل في قوله حتى تراه وكأنه يعيش الحسية ويلتمس المتعة والشهوة، وفيه ابتذال وإسفاف.

وإذا أنعمنا النظر بهذا اللون عند ابن دريد، وحقيقته كانت تموج بالجواني واقتنائها، يرى تبدلهم وزينتهم في كثرة كثرة، وهو في جملته غزل رقيق راقٍ، يشي عن فن أصيل وموهبة دقاقة، سمّت به نفسه عن الوقوع والارتكاس في الخطأ، فتراه كأنك تسمع لشاعر عذري صميم، فيه جلال السمّت والوقار والحشمة يشيع في ثايا قصائده أو استهلالاتها، ونجده أحياناً يفرّد له مقطوعات بعينها، تعبر عن صدق نفس ونزاهة ذيل، وعفة لسان، وإيماء بالصباغة حتى كادت دمة تتحسر ولا تسقط، وهي ما يبقيه الهوى، وهو معنى طريف محدث، فهو يقول^(٨٥)، (من السريع):

إنّ الذي أبقيت من جسمه

يا مُثَلِّف الصَّبِّ ولم يشعر
صباغةً لو أنها دمة

تجول في جفنيك لم تقطُر

يا ليلُ لا تُبِحِ الإصباحَ حَوَزَتَنَا

وَلْيَحْمِ جَانِبَهُ أَعْطَاكَ السُّودُ
ومن مقطوعة له يصف فيها الخمرة بلونها الأحمر والأصفر، فقبل المزج تكون حمراء معتقة، وبعد المزج وكسرها بالماء تصبح صفراء، يشبهها في خيالاتها أنها جاءت تنهادى بين ثوبين من النرجس والشقائق، فهي تحكي وجنة المعشوق الحمراء قبل المزج، وخد العاشق بعد المزج، فيقول^(٨٣)، (من الطويل):

وحمرَاءَ قَبْلَ الْمَرْجِ صَفْرَاءَ بَعْدَهُ

أَتَتْ بَيْنَ ثَوْبَيْ نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ
حَكَتْ وَجَنَةَ الْمَعشُوقِ قَبْلَ مَزَاجِهَا

فلما مَرَجْنَاهَا حَكَتْ خَدَّ عَاشِقٍ
وله قصيدة ضمت سبعة أبيات في الفانية بلغ في وصفها منتهاها، فهي معتقة اصطفتها الجن، لا يحيط بها الوهم اللطيف، ويصف سريانها في جسمه، وكأسها ضد ظلام الليل وهو هابط شديد السواد، يصرف عنها الشارب نظره وهو سكران، وقد تعدى بشرها أوامر الله الرؤوف بالعباد، فيقول في وصف هذه الحالة^(٨٤)، (من مجزوء الرمل):

وَعُقَارٍ عَتَقَتْهَا

بعد أسلافٍ خُلُوفُ
كانت الجنُّ اصطَفَتْهَا
قَبْلُ وَالْأَرْضُ رُجُوفُ
وَهِيَ فِي الْجِسْمِ وَسَاعُ

وَهِيَ فِي الْكَأْسِ قُطُوفُ

ومن ذوب نفسه ورقة حواشيه، تنبثق
المعاني الغزلية الجديدة التي يصف فيها خد
محبوبه، فيقول^(٨٦)، (من الكامل):
غراء لو جَلَب الخدورُ شُعاها
للشمس عند طُلوعها لم تُشرق
غُصنٌ على دِعْصٍ تأوَّدَ فوقه
قمرٌ تألَّقَ تحت ليلٍ مُطْبِق
ويقول في (المربعة) متعجباً، وقد أسقمه
الحب مخالطاً عبراته، كيف يلذ اللقاء مع السَّقام،
وقد هجره حبيبته، فأشمت به الأعداء، ويربأ به
أن يشمت به أعداؤه وقد طال بكأؤه حتى ظن
أن حياته ستواصل بالكاء، معلنا أنه لا يمكن
أن يجنَّ ويخفي حبه، (وهي من الشعر التعليمي)
وإن كان موضوعها الغزل، فيقول^(٨٧)، (من
الكامل):

أُقيت لي سَقَمًا يُمازجِ عُبْرَتِي
من ذا يِلْذُ مع السَّقام لِقَاء
أشمت بي الأعداء حين هَجَرْتَنِي
حاشاك مما يُشْمِتُ الأعداء
ويلتاع قلبه بلذع هوى حبيبته المبرح،
مؤكداً دوامه، وقد استحسنت نفسه الصَّبابة والصَّبَا
(فيجانس بينهما) بينما كان ينعى على الصَّب
قبل وقوعه في دوامة الهوى، وقد بذل دموعه
التي كان يصونها لأيام الخطوب. ويعترف بأن
الحب بلاء قد أصابه وهو مجاوره حتى في
تربيته. كل هذه المعاني البسيطة السهلة تعبر
عن وجدّه وصبابته، وفيها الجِدَّة والحداثة،

وتبعث على المشاركة بمشاعره وما يعتريه من
آثاره، فيقول^(٨٨):
ثوى بين أنثاء الحشا منك لوعة
يَجِدُ بنفسِي شوقها وهو يعبثُ
تَلَلْتُ الهوى إن كنت أكرهُ قُرْبَهُ
على أنه الداء الذي لا يُلبِّثُ
تثى قلبه لما تثت عنه طَرْفها
على مَضض أحشاؤه منه تُفَرِّثُ
تقي بجفونٍ إن دعا ماءها الهوى
بذُكرك يوما أَقْبَلْتُ لا يُمَكِّثُ
ويبلغ حرف اليباء في مربعته، وقد عنونها
الديوان ب(داء الحب)^(٨٩):
يُرَجِّي اصْطَباري وأيُّ اصْطَبار
يكون لقلب عميدٍ جَري؟
يقول إذا ما الهوى شَفَّه
لقد خُصَّ قلبي بداءٍ دوي
ينام الخليُّ ومال الشجيُّ
رُقَادٌ إذا طال نوم الخليِّ
ويطالعنا بلوحة حبّية أخرى، عندما أبلغ
بفراق حبيبته الذي كان مجتمعاً به وآذن بالفراق،
فإذا به يتمنى الموت فصبايته تُمدُّ له الحياة،
وصيره يموت، ونفسه تتأرجح بين الحياة والموت،
فالأسى يلاحقه وهو يبتعد عنه، قائلاً إنك لا
تقوت مما أنت فيه، وعندها آن لماء عينه أن تتكلم
بينما عادة قلبه السكوت، وهنا نلاحظ كيف
استطاع أن يشخص ماء عينه ليتكلم ويعبر
بما يحتوي فؤاده، فقال^(٩٠)، (من الوافر):

وما في الأرض أشقى من مُحِبِّ

وإنَّ وجدَ الهوى حُلُوَ المَذاقِ

نراه باكياً في كلِّ وقتٍ

مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أو لاشْتِيَاقِ

ويرى أن القرب من الحبيب هو الداء وهو

الدواء، فيقول^(٩١):

لو أن قلباً ذابَ من كَمَدٍ

ما كان بين ضلوعه قَلْبُ

لو كنت صَباً أو تُسَرَّ هوى

لعلمتَ ما يجترع الصَّبُّ

يهوى اقترابك وهو قَاتِلُهُ

فشفاؤه وسقامه القُرْبُ

ويصور ابن دريد حالة من الغزل تختلف

عن صوره السابقة، فهو يصور محبوبه وقد

عانقه حين كان النعاس يميل به ويسري في

كيانه، وكأس الخمرة في يده ينتشي بها و هي

تُقَسِّمُ السكر بين الجُلَّاسِ، ويصفه بأنه ريحانة

ناضرة مضمخة بالمسك وتمج برد الندى في

أنفاسه الملتهبة في مثل تلك الحالة، فيقول^(٩٢)،

(من البسيط):

عانقتُ منه وقد مالَ النُّعاسُ به

والكأسُ تُقَسِّمُ سُكراً بين جُلَّاسِ

ريحانةً ضُمَّخَتْ بالمسك ناضرةً

يَمُجُّ بردَ الندى في حَرِّ أنفاسي

ومن غزله الذي يصور البيئة العباسية

التي تشي عن مظهر حضاري مُتَرَفٍّ، ولعلَّ فيه

لملمحاً جِسْياً، ولكنه مقبول غير مبتذل، فيقول^(٩٣)،

(من المنسرح):

جِسْمٌ لجينٍ قميصُهُ ذهبٌ

رُئِمَ على لعبةٍ من الطَّيِّبِ

فيه لِمَنْ شَمَّهُ وأَبَصَرُهُ

لِوْنُ مُحِبٍّ وريحٌ محبوب

ولعلنا من كل ما سبق نرى عاطفة صادقة

مشبوبة، وقد تكون مجرية، قصد بها ابن دريد

التعبير عن أحاسيسه ومشاعره القوية، ولكننا

نلاحظ أن غزله غزلاً عاماً لا يزجيه لواحدة بعينها،

بل ربما؛ ليظهر أن باستطاعته أن يقول في

هذا الفن، فهو محب لجمال المرأة، عاشق له،

تنظمه في سلك من سلك هذا المسلك في مدرسة

الحب، ولعلَّ هذه العاطفة الإنسانية ملازمة للبشر

لا تتخلف^(٩٤).

ومن شعره في المقصورة نراه يتحدث عن

فتاة من أوصافها النعومة والحسن وطيب المرتشف

الذي يبرئ من الضنى، ويبالغ في وصفها حتى

لو خاطبت الوعل وهو في رؤوس الجبال لنزل

طائعاً منقاداً لرضاها، ولو صابت المتعبد في

جبل وعر لأطاعها وشغلته دعوتها عن عبادته

ودينه حتى تراه قد مال إليها، ولا يفوته أن يصف

ريقها بعد النوم وقد رشفه، فإذا هو كالخمر صبَّ

عليه ماء بين أسنانها وسمرة لماها. ولعل في

تصويره لهذا المذاق بعد النوم، ما يوحي بأن هذه

حالتها بعد النوم، فكيف لو كان ذلك قبله؟

فيقول^(٩٥)، (من الرجز):

ولا عبتني غادةً، وهَنَانَةٌ

تُضْنِي، وفي ترشافها بُرءُ الضنَى

ربما انقادَ جَمُوحٌ تارةً ثم يصيفُ
 فاحذري عَزْفَةَ نفسي عنك فالتَّفْسُ عَزوفُ
 أقصدتَ صِرغامَ غابٍ بين خَسيه عَريفُ
 ويستنهض همَمَ قومه وأهله في عُمان معدداً
 لهم مفتخراً بالآباء والأجداد من آل مالك بن فهم
 والجراميز والفراheid، فيقول^(٩٨)، (من الخفيف):
 أين عن ثأرها هناةُ فُروع الـ (م)
 عَزَّ أم أين كهفه المأمولُ؟
 وبنو جَهْضَمٍ وهُم جَبَلُ الـ (م)
 عَزَّ الذي عَزَّ فرعُه المستطيلُ
 أين دعوى بني سُلَيْمَةَ أطوا (م)
 دُ المعالي فثيائُها والكُهولُ؟
 والجراميزُ حصننا الأَمْعُ الرُك (م)
 ن ومن في الوغى إليه نؤولُ
 والعقاةُ الذين يُسْتَدْفَعُ البأ (م)
 سٌ وهو مُقْمَطِرٌ مهيلُ
 وفراheidنا الذين على الرو (م)
 ضَاةٌ من خيلهم دِماءٌ تَسِيلُ
 وفخره في المقصورة فن شعري أصيل،
 فالشاعر هنا يفخر بصفات شخصية نفسية خاصة
 به يتحلى بها من صبر وصمود وشجاعة وخبرة
 وقوة وعزيمة، وأنه لا يُمكنُ خصمَهُ من النَّيْلِ
 منه، بل هو الذي يَنالُ من خصمه، مُعْتَصِماً
 بحكمته وأناته؛ حمايةً للشرف والكرامة، فيقول^(٩٩)،
 (من السريع):

فإن سمعت، بَرَحِي منصوبةً
 لِلْحَرْبِ، فاعلم أنني قُطْبُ الرِّحَى

لو ناجتِ الأعصمَ لاتحطَّ، لَهَا
 طوعَ القِيادِ، من شماريخِ الدُّرَى
 أو صابَتِ القانِتَ، في مُخلولِ
 مُسْتَصَعِبِ المسَلَكِ، وعِرِ المُرْتَقَى
 ألهاهُ، عن تَسْبِيحِهِ، ودينِهِ
 تأنيسُها، حتى تراهُ قد صَبَا
 كأنما الصهباءُ، مَقْطوباً بها
 ماءٌ جَنَى وُزْدٍ، إذا الليلُ غَسَا
 يمتاحُهُ راشِفُ بَرْدٍ ريقها
 بينَ بياضِ الظَلَمِ، مِنها واللَّمَى

٨. الفخر:

لون آخر من ألوان الشعر في روضته
 الغناء، والتي أبدع فيها وبرع أيما إبداع وبراعة،
 وقد نهج في بعض منه نهج القدماء، وسائر في
 بعضه الآخر نهج عصره الحديث، فمن القديم
 فخره بالحسب والنسب، والآباء والأجداد والقبيلة
 وعرويته المتمثلة في قحطان من اليمن فضلاً
 عن اعتزازه بموهبته الشعرية التي تميزه عن
 غيره، مفتخراً بحسبه ونسبه، وقد بدأها بالغزل،
 قوله^(٩٦)، (من مجزوء الرمل):

إنَّ بيتي في ذُرَى قحطان للبيتِ المنيفِ
 وليَ الجمجمةُ العليا والعِزُّ الكثيفُ
 وليَ التالِدُ مُلحمٌ قديماً والطريفُ
 كل مجد لم يُسمَّنهُ اليمانون نحيفُ
 ومن فخره بالقوة والشجاعة وعزة النفس
 قوله^(٩٧)، (مجزوء الرمل):

لا يَغُرُّكَ سماحي إنَّ مُقتادي عنيفُ

وإن رأيت نازَ حَرْبٍ تَلْتَلِظِي

فاعلم بأني مُسْعِرُ ذاك اللَّظِي

لكنَّ لي عزماً إذا ما امتطيَّته

لِمُبْهَمِ الأمرِ فَاهُ، فانفأى^(١٠٠)

ويشيد ابن دريد ببعض الشخصيات المهمة في الجاهلية ويفتخر بها، كعمرو بن عدي وسيف ابن ذي يزن وعمرو بن هند، مستعيراً الموروث العربي؛ ليتخذ منه رافعة للجِدِّ وطلب العلا، فيروي قصصهم وكيف تَسَنَّموا مطالع الأفلاك ونالوا ما إليه يتطلعون، وكأنه يريد أن يبيث روح التطلع إلى المجد وتحقيق الغايات في شباب أُمته، فيقول^(١٠١)، (من السريع):

فقد سَمَا عمرُو إلى أوتاره

فاحْظُطْ، منها، كلَّ عالي المُسْتَمَى

واستنزل الزَّيَاءَ قسراً وهي مِنْ

عُقابِ لوحِ الجَوِّ أعلى مُنْتَمَى

وسيفٌ استعلَّتْ به همُّهُ

حتى رمى أبعد شأوَ المُرْتَمَى

فجرَّعَ الأحبوشَ سُماً، ناقعا

واحْتَلَّ من غُمدانَ، مِحْرَابَ الدُّمَى

ثم ابنُ هِنْدٍ باشرت نيرانهُ

يَوْمَ أوارات تميما بالسُّلَى

ويشير إلى بعض الرموز التاريخية وما

وقع لها من أحداثٍ جسام؛ مثل امرئ القيس في طلب ملك والده وكذا مع أبي الجبر بن عمرو الكندي، فيقول^(١٠٢):

إنَّ امرؤَ القيس جَرى، إلى مَدَى

فاعتاقهُ جِمامهُ، دون المدى

وقوله^(١٠٣):

وَحَامَرْتُ نَفْسُ أَبِي الجبرِ الجَوَى

حتى حواه الحَنَفُ فيمَنْ قَدْ حَوَى

ويتحدث عن جذيمة الأبرش الأزدي وكان

أبرص، والعرب تدعو الأبرص بالوضاح تحسناً، كاللديغ الذي يدعى بالسليم، وقصته مع قصير الذي يضرب به المثل معروفة: "لا يطاع لقصير أمر"، فيقول^(١٠٤):

واخترَمَ الوضاحُ من دون التي

أَمَلَهَا سيفُ الحِمَامِ المُنتَضَى

ثم يستقبل التاريخ الإسلامي وحوادثه أيام

الحجاج، فيقول في المقصورة^(١٠٥):

وابنُ الأشَجِّ، القَيْلُ، ساقَ نَفْسَهُ

إلى الرَّدَى، حِذَارَ إِشْمَاتِ العِدَى

وينظر باعجاب إلى يزيد بن المهلب بن

أبي صفرة، فيقول^(١٠٦):

وَقَدْ سما قبلي يَزِيدُ، طالبا

شأوَ العُلَى، فما وَهَى ولا وَئى

٩. الشعر التعليمي:

هذا النظم من الشعر المحدث الذي لجأ

إليه الشعراء والأدباء لتعليم الناشئة، يهدف إلى سهولة الحفظ للمتعلمين، ومن ثم التطبيق على هذه القواعد الموضوعية. ولما كان ابن دريد لغوياً ونحويّاً نراه يتجه إلى هذا الأسلوب، ويُعدُّ الشعر التعليمي من الموضوعات التي حظيت باهتمامه وشدة عنايته وبقّة منهجيته، وهذا الغرض ينتظم المقصورة من أولها إلى آخرها، فهي من

الشعر التعليمي الذي يهدف إلى تعليم اللغة والبيان والمعارف، والوقوف على معاني المفردات الغريبة، والتي كانت مفهومة مقبولة في زمانهم، فضلاً عن المعلومات التاريخية والأيام، دون أن ينسى أن يحض على مكارم الأخلاق والتأمل بالقيم العليا المضمخة بالحكمة العالية والأمثال السائرة، مثل قوله فيما يؤنث من الأعضاء ولا يُذكر^(١٠٧)، (من البسيط):

الساق والأذن والفخذان والكبد
والقنب والصلع العوجاء والعضد
والرجل والكف والعجز التي عرفت
والعين والعقب المجدولة الأحـد
والسن والكروش والقرنى إلى قـدم
من بعدها ورك معروفـة ويد
ثم الشمال ومناها وإصبعها
ثم الكراع ومنها يكمل العدد
إحدى وعشرين لا تذكـر يـدخلها
طرا وتأنيتها في النـحو يُعـنـقـد
وقد ضم ديوانه ثلاث مقطوعات ذكر فيها
ما يُذكر ولا يؤنث من الأعضاء، فيقول^(١٠٨)،
(من الطويل):

يا سائلاً عما يُذكر في الفتى
لا غيره عن صادق لك يُخبر
رأس الفتى وجبينه ومقـدّه
والثغر منه وأنفه والمنخر
والبطن والقم ثم طفر بعده
ناب وخذ بالحياء مُعـصـفـر

والندى والشبر المديد وناجـد
والباع والدق الذي لا يُنكر
هذي الجوارح لا تؤنثها فما
فيه لها حظ إذا ما تُذكر
ثم يذكر الأعضاء التي يجوز فيها التأنيث
والذكور، وعدتها ثمانية، مُبرزاً رأي سيبويه،
وأنه لم يتبع الإجماع، فيقول^(١٠٩)، (من الطويل):
وهذي ثمانى جارحات عـدـدـتها
تؤنث أحياناً وحيناً تُذكر
لسان الفتى والعنق والإبط والقفا
وعاتقه والمنن والضرس يذكر
وعند ذراع المرء تم جسابها
فأنت وذكر أنت في ذا مُحير
كذا كل نحوٍ حكى في كتابه
سوى سيبويه فهو عنهم مؤخر
يرى أن تأنيث الذراع هو الذي
أتى وبرى التذكير في ذاك مُنكر
وله من الشعر التعليمي قصيدة في المقصور
والممدود، وقد بلغ عدة أبياتها سبعة وخمسين
بيتاً، في كل بيت منها كلمتان متماثلتان، إحداها
مقصورة والأخرى ممدودة، مع اختلاف في
المعنى، فيما نسميه "الجناس" وقد يتفق في أحيان
أخرى. وبدهي أن الغرض من القصيدة هو التعليم
وإظهار البراعة والمقدرة اللغوية، فضلاً عما
ضمته من حكم ونصائح تنحو المنحى التعليمي
كذلك. يتحدث عن باب ما يُفتح أوله ويُقصر
ويُمد، فيقول^(١١٠)، (من مجزوء الكامل):

وسكنت بيتاً ذا غمٍّ وَلَتَخْرُجَنَّ من الغماء
وينهي القصيدة بما يضم أوله فيقصر،
ويفتح فيمد والمعنى مختلف، فيقول^(١١٤):
شمس الضحى طلعت علي (م)

كَلَّا ترى شمس الضحاء
ونلاحظ أن القصيدة لم تجمع أنواع المقصور
والممدود جميعاً، ربما سقط بعضها أو ضاع،
وربما أراد أن يذكر تنقاً للأنواع التي أوردها
كمثال.

ومن الشعر التعليمي الذي ينتمي إلى
اللغة، ويُعَرِّضُ بها بأحمد بن حاتم الباهلي
اللغوي (توفي سنة ٢٣١هـ)، ويفاخره بقدرته
اللغوية التي لا يمكن للباهلي أن يسمو إليها أو
يجاريه فيها، والمليئة بالغريب من الألفاظ التي
يحتاج الدارس لها أن يرجع إلى المعاجم اللغوية،
والتي ضمت ستة وخمسين بيتاً استهلها بقوله^(١١٥)،
(من الهزج):

ديارُ الحيِّ بالرَّسِّ

إلى العُمَريْنِ فالأَبْرَقِ
كرجعِ النَّفْسِ في الطَّرْسِ

إذا نُمِقَ لم يَنَمَقْ
ويبسط رأيه في الشعر مستحسناً الشعر
السهل الخالي من الغرابة واستغلاق المعنى،
وقد يتساءل المرء كيف وهو في قصيدته السابقة
يتباصر بالغريب، وهنا يدعو إلى السهولة؟
والجواب: أن مردَّ ذلك إلى أنه تحدى في الأولى
الباهلي؛ ليظهر له عجزه عن مجاراته في الغريب

لا تركُنتَ إلى الهوى

واحذر مفارقة الهوى
يوماً تصيرُ إلى الثَّرى

ويفورُ غَيْرَكَ بالثَّراءِ
من خاف من ألم الجفا

فَلْيُجْتَنِبْ مشي الحفَاءِ
فارغب لربك في الجدا

ما أنت عنه ذو جداءِ
ومنه ما يكسر أوله فيقصر ويمد، والمعنى
مختلف، فيقول^(١١٦)، (من الكامل):

كم من عظام بالليو

قد فارقتُ حَفَقَ اللِّواءِ
وأرى الغنى يدعو الغنى

إلى الملاهي والغناء
ومنه ما يكسر أوله فيقصر، ويفتح فيمد،
والمعنى واحد، فيقول^(١١٧):

وأرى البلى يُبلي الحد (م)

يد وكلُّ شيءٍ للبلاءِ
حبُّ النساءِ إلى قلى

وأرى الصلاح مع القلاءِ
ماءُ الحياةِ روى وألى

للمجلي بالرواءِ
ويذكر في ما يليه ما يضم أوله فيقصر،
ويكسر فيمد، والمعنى واحد، فيقول^(١١٨):

تهوى لقا ما لا يحلُّ وبعده يوم اللقاء
ثم ما يفتح أوله فيقصر، ويكسر فيمد،
والمعنى ذاته، ومنه:

ووحشي اللغة، وأن الغريب ليس من طبعه
وإنما لمعاياته وتحديه فحسب، فقال^(١١٦):

شَنِيتُ الْكَلِمَ الْمَدخُو (م)

لَ وَالشَّعْرَ إِذَا اسْتَعْلَقُ

بَل السَّهْوَ الَّذِي يَشْب (م)

هُ نَوْرَ الرُّوضَةِ الْمُونِقِ

وَيَتَحَدَّى صَاحِبَهُ اللَّغْوِي أَنْ يَفْقَهُ مَعَانِي

الْكَلِمَاتِ اللَّغْوِيَّةِ الَّتِي جَمَعَهَا فِي قَصِيدَتِهِ،
ومنها^(١١٧):

فِيَا لِلنَّاسِ مَا الزَّيْمِ

إِذَا فُضِّلَ أَوْ دُهْمِقِ

وَمَا الْكُهُولُ فِي الْخِيَعِلِ

وَالْكَافِرُ فِي الْيَلْمِقِ

وَمَا النَّعْوُ وَمَا الْبَعْوُ

وَمَا الْمُعْوُ إِذَا يُفْرَقِ

والقصيدة وإن كانت صناعتها لمباهاة

الباهلي في معرفته اللغوية، وظاهرها التهكم

والتعريض به، وعدم قدرته اللغوية، إلا أنها في

حقيقتها هدفت إلى التعليم، لتحفز قارئها إلى

معرفة معاني هذه الكلمات الغريبة، وبذلك تثري

محفوظه الشعري ومعجمه اللغوي، ويستفيد جديداً

من مفردات اللغة. وتعددت فنون شعره التعليمي

في الديوان، فيقف بنا على "المُرْبَعَة"، وهي عبارة

عن أربعة أبيات منظومة على روي حرف من

حروف الهجاء، وأول كل بيت من الأبيات الأربعة

يبدأ بالحرف نفسه، وهو بهذا من السباقين إلى

ضرب من لزوم ما لا يلزم يمكن أن نعدده خطوة

في تطوير القوالب الشعرية، شجعت على ظهور
الرباعيات والموشحات، وأغرّت المعري من
بعده بـ(اللزوميات)^(١١٨).

والقصيدة وإن كانت تعليمية، إلا أن ابن

دريد قد جعل موضوعها غزلياً، وقد مرت بنا

تحت موضوع الغزل، حيث يقول^(١١٩)، (من

الكمال):

أَبْقَيْتَ لِي سَقْماً يُمَارِجُ عِبْرَتِي

مَنْ ذَا يَلْدُ مَعَ السَّقَامِ لِقَاءَ

ثُمَّ يَأْتِي بِالنَّاءِ، فيقول:

تَوَى بَيْنَ أَثْنَاءِ الْحَسَا مِنْكَ لَوْعَةً

يَجِدُ بِنَفْسِي شَوْقَهَا وَهُوَ يَعْبَثُ

وتتوالى الحروف حتى يبلغ حرف الباء،

ومربعته فيها وهي بعنوان (داء الحب)، فيقول^(١٢٠)،

(من المتقارب):

يُرْجِي اصْطَبَارِي وَأَيُّ اصْطَبَارِ

يكون لقلب عميد جري؟

يَقُولُ إِذَا مَا الْهُوَى شَقَّهْ

لَقَدْ خُصَّ قَلْبِي بِدَاءِ دَوِيٍّ

ينام الخليُّ وما للشجيِّ

رَقَادٌ إِذَا طَالَ نَوْمُ الْخَلِيِّ

١٠. الحنين:

إن هذا الفن من الشعر برع فيه أكثر

من برع من يغتربون عن ديارهم وأهلهم فيدب

الشوق والحنين في قلوبهم لمربع وأماكن رتعا

فيها وقضوا شطراً من شبابهم وحياتهم، فإذا هم

يعودون لماضيهم يحدثون أنفسهم ويناجونها، وقد

نظروا حولهم فلم يجدوا الأحبة والخلان، فيثور

١١. في الشَّيْب والشَّباب:

عندما يتقدم الإنسان بالعمر ويرى رأسه ومفرقه وعارضيه قد اشتعل فيها الشيب، وهو الإنذار الأول الذي يدل على قرب أجله ورحيله عن هذه الدنيا، يبدأ بالحديث عن ماضي أيامه، ويكون له العبرة والعظة من ذلك، -إن كان ممن يتعظ-.

وابن دريد يلحظ تسلل الشيب إليه وقد جاوز الخمسين ويُسَخَّصَه بأنه مريض، ولكنه مريض دون ألم، ولعله الوحيد الذي شَخَّصَه هذا التشخيص -فيما أعلم-، فيقول^(١٢٣)، (من الطويل):

أرى الشيبَ مذ جاوزتُ خمسين دائباً
يَدْبُ دبيبَ الصُّبْحِ في غَسَقِ الظُّلَمِ
هو السَّقْمُ إلا أنه غير مؤلمٍ
ولم أرَ مثلاً للشيبِ سُقْمًا بلا ألمٍ
وهذا كقوله في المقصورة^(١٢٤):

إمّا تري رأسي حاكى لونه
طُرَّةُ صُبْحٍ تحت أنيال الدُّجى
ويقول في الشباب ونضارته، ولعل بيتيه كانا أول ما قال من شعر، وهو ابن عشرين عاماً، ولكننا نرى فيهما نزوعه إلى حكمة ابن الخمسين أو أكثر؛ إذ يتحدث عن أن الشباب لن يدوم، وأنه مقبل على حياة المشيب الخطرة، فيقول^(١٢٥)، (من البسيط):

ثوبُ الشباب عليَّ اليومَ بهَجَتُهُ
فسوف تنزعه عني يد الكبر

فيهم الحنين والشوق لأولئك، فينفثون ما ينفثونه من اللوعة والتلهف على سالف الأيام وبُعْدِ الأحبة. وابن دريد الذي اغترب، واغترب، لم يكن بدعاً أن يناله من الحنين والشوق إلى مدارج صباه، ما اعتور الآخرين، ومقطوعته التي تشير إليها، هي من النوع العادي التقليدي الذي ذهب إليه القدماء، فيقول مستغيثاً بالبرق الذي شام من ناحية العقيق وبيته حنينه^(١٢٦):

أَمِنْ نَحْوِ الْعَقِيقِ شَجَاكَ بَرَقٌ
كَأَن وَمِیْضُهُ رَجْعُ الْجَنُونِ؟
أَيَا بَرَقَ الْعَقِيقِ أَقِمْ فَمَالِي
سِوَاكَ عَلَى الصَّبَابَةِ مِنْ مُعِينٍ
أَحِنُّ إِلَى الْعَقِيقِ وَسَاكِنِيهِ
وما يخلو المُنَيِّمُ من حنينٍ
وقال من قصيدة أخرى، وقدم لها بقوله:
"خرجنا نريد عُمانَ في سفر لنا، فنزلنا بقرية تحت النخل، فإذا بفاختتين تتزاقان، فسنح لي أن قلت^(١٢٧)، (من الطويل):

أقول لِرُزْقاوَيْنِ في فرعِ نخلَةٍ
وقد طَلَّ الإِمْسَاءُ أو جَنَحَ الْعَصْرُ
وقد بسطت هاتَا لَنَّاكَ جَنَاحَهَا
وَمَالَ عَلَى هَاتِيكَ مِنْ هَذِهِ النَّحْرِ
لِيَهْنِكُمَا أَنْ لَمْ تُرَاعَا بِفَرْقَةٍ
وما دبَّ في تَشْتَبِتِ شَمْلِكُمَا الدَّهْرُ
فلم أر مثلي قطعَ الشوقِ قلبَه
على أنه يحكي قساوته الصَّخْرُ

أنا ابنُ عشرين ما زادت ولا تَقَصَّتْ

إنَّ ابن عشرين من شيبٍ على خَطَر

١٢. العتاب:

لون من ألوان الشعر الذي لجأ إليه ابن دريد نتيجة مواقف تبدت له من بعض أصحابه الذين وصلوا إلى الرياسة في أعمالهم، فراه يعتب عليهم سلوكهم المجافي للأخوة والصداقة، ولا يقبل منهم هذا التصرف في حقه، مما يومئ إلى عزة نفسه وأنفته، وفيها يؤكد أنه يستغني عن طَرُق أبوابهم مهما بلغت مكانتهم، وهو لم يأت حاجة بل لزيرة، وهذا يصور لنا مظهراً من مظاهر الحكم المستنق من الثقافة الفارسية في العصر العباسي، والمقطوعة موجهة إلى ابن أبي علي أحمد بن محمد بن رستم، فيقول^(١٢٦)، (من الطويل):

حجابك صعب يُجْبُهُ الحُرُّ دُونَهُ

وقلبي إذا سيم المذلة أصعب

وما أزعجتني نحو بابك حاجة

فأجشُم نفسي رجعةً حين أُحجب

وبعاتب صديقه أبا الحسن الوزير علي ابن

عيسى بن داود بن الجراح، ويناقش الأمر معه

مناقشة نفسية حين يذكره أن صورته البشرية

تخبر عما ضمته غريزته، ويقسو عليه في

العتاب، حتى ليظن القارئ أو السامع أنه يهجو،

فيقول^(١٢٧)، (من الطويل):

أبا حَسَنٍ والمرءُ يُخْلَقُ صورةً

تُخْبِرُ عَمَّا ضَمَّنَتْهُ الغرائزُ

إذا كنت لا تُرجى لنفعٍ مُعَجَّلٍ

وأمرُكَ بين الشَّرْقِ والغربِ جائزُ

ولم تك يومَ الحَشْرِ فينا مُشَفَّعاً

فراي الذي يرجوك للنفع عاجزُ

علي بن عيسى خير يوميك أن تُرى

وفضلك مأمولٌ ووعدك ناجزُ

وإني لأخشى بعدَ هذا بأن تُرى

وبين الذي تهوى وبينك حاجزُ

وفي ديوانه مقطوعة من ثلاثة أبيات

تحت عنوان (معاتبه) دون الإشارة إلى من

وُجِّهَتْ، ولعلها موجهة إلى كل صديق أو مسؤول

وهي عبارة عن توجيه أخلاقي عام، فهي تحت

على عدم الضجر من السائل، فخير الأيام ما

كان الإنسان بها مسؤولاً ولا يجبه السائل بالرفض

بينما كان السائل مؤملاً، فما نفع العز للإنسان

إلا أنه يؤمل لدين وقضاء الحوائج، ثم يعود به

إلى طبيعته البشرية التي لا تدوم، فهو بعد

قليل صائر خبراً من الأخبار، فليم لا يجعل

خبره حسناً رائعاً؟، فيقول^(١٢٨)، (من الكامل):

لا تَدْخُلَنَّكَ ضَجْرَةٌ من سائِلٍ

فَلْخَيْرُ دَهْرِكَ أَنْ تُرَى مسؤولاً

لا تَجْبِهَنَّ بِالرَّدِّ وَجَهَ مؤمِلٍ

فبقاء عِزِّكَ أَنْ تُرَى مأمولاً

واعلم بأنَّكَ عن قليلٍ صائرُ

خبراً فكنَ خبراً يروقُ جميلاً

١٣. الحماسة:

فن من فنون الشعر العربي القديم الذي

عُرِفَ في الجاهلية والإسلام، وزدانت به أيام
العرب ووقائعهم؛ ولذا نرى صاحبنا وهو يواجه
يوماً من أيام العرب السابقة، يعود إلى العصبية
القبلية متناسياً أن الإسلام قد نفى أتباعه من تلك
النظرة السَّادية، ناعياً عليهم النظر إلى الخلف
(دعواها فإنها منتنة) ولكنه يعود إليها جذعة،
حين يحرض قومه من أزد عُمان للأخذ بثأر
قتلاهم في وقعة الروضة، رائياً هؤلاء القتلى،
مادحاً آباءه وأجداده منهم، مستهزئاً بهمهم
عن بُعد، باذلاً لهم النصيحة والإرشاد حسب
رأيه، ويحذرهم الخضوع للأعداء، خالطاً في
شعره بين فخره بنفسه وقومه، وتجد الحكمة في
تنايا هذا الشعر، فيقول في قصيدته الثانية^(١٢٩)،
(من الطويل):

ولا لُمْتُ نفسي في اجتهاد نصيحة
لكم في قديم قبلَ هذا وحادثِ
فإن حال نائي دونكم وتعرَّضْتُ
غروبُ خطوبٍ للقلوبِ نوافِثِ
فلن تعدموا مني نصيحةً مُشْفِقِ
ورأي عليٍّ للأمورِ مُماغِثِ
ولو أنني فيكم أسوتُ كلومكم
وداويتُ منها غائقاتِ العنائِثِ
وسُفْتُ إلى النبعِ العَرِيفِ وقربت
ملاءمتي شتى الثأى المتشاعِثِ
ولكن أضلَّكمُ أمورٌ إخالها
تردُّ الصُّقورَ نهزةً للأباعِثِ
وتحدث عن ظلم حكَّام عُمان الخوارج

لقومه من الأزد، الذين وصفهم باللصوص، وسوء
سياستهم في الرعية، وضرورة مقاومة هذا الظلم
ومقارعتهم له، فيقول^(١٣٠)، (من الخفيف):
فابُلِّغُوا الجَهْدَ أو فموتوا كِراماً
ليس يُغني التَّبَرُّقُ والتَّخْطِيطُ
كم إلى كم نعيش أنضاءً ذُلُّ
كلنا مُلْجِمٌ به مَعْلُوطُ
أترى الأزدَ يقسم الذُّلَّ فيها
خارجي وخارب عُمُروطُ
ثم ترضى بذلك الأزد إن تر
ضى فلا ريشَ سَهْمُها المَمْرُوطُ
لا لَعَمَرَ الذي تَمَسَّكَتْ منه
برجاءٍ لايعتقيهِ القُنُوطُ
ويُلبس حماسته لباس العزة والفخر والأنفة،
فهو لا يقيم على خسف، ولا يقبل الضيم، صارفاً
عزيمته لإدراك الثأر، فيقول^(١٣١):
لا يظنُّ الأعداءُ أنَّ مقامي
حيثُ يغتالني المحلُّ الشَّحِيطُ
صارفاً عَزمي ولا الخفضُ ما لم
أتركِ الثَّأرَ بالفُؤادِ يَلِيطُ
ثم أخلدتُ بحسبِ القومِ أني
بيئُهُم للأسى قَريبٌ وَخِيطُ
سُلْطَ الصَّبْرِ والرَّجاءِ على النَّا (م)
سِ سيُغريهما به الشَّالِيطُ
وفي "لاميته" الرائعة، يحرض الأزد قومه
للأخذ بثأر قتلهم بالروضة من تنوف، ولعله
قد أبرز وكده في هذا المجال بقوة، فيقول،

(من الخفيف):

وله نابه وخطب جليل

بل رزايا مالهن عبء ثقيل

بل غرام مباده بل دهاري (م)

س عظام وقوعهن وبيل

إن بالقاع من تتوف محلاً

ليس للمكرّمات عنه حويل

جال فيه الردى يميل قداحا

أحرزت حصّلها وفات الخليل

لم تدع للعلی أكف المنايا

من به يقتلى ولايستطيل

يا بني مالك بن فه قتيلاً

لا يباريه في الأنام قتيّل

ونراه يحرك فيهم النائرة حيث ينعي عليهم

ضعفهم وذلتهم، بل أشبه ما يكونون بالنساء

اللاثي يُنعى لهنّ بعولتهنّ مع كثرتهن وسيادتهن

وسطوتهن وادعائهم قلة العدد، ويحرك مشاعرهم

حين يقرعهم، أنساء أنتم أم عبيد لراشد وموسى؟

مشيداً ببني مالك، فيقول (١٣٢):

كنتم والكثير فيكم قليل

والعظيم الخبير فيكم ضئيل

كنتم الهامة التي لو أزلت

أوجه الدهر لم تقل: لا أزول

كنتم أهل سطوة إن تصدّت

مال وجه الحمام حيث تميل

أقليل عديدكم فتقولوا

إننا في الوغى نفيّر قليل

أم ضعاف عن ثأركم قتلّوا

مشرّب الذل والضعيف ذليل

ونساء ينعى لهنّ بعول

إن ستر المحصّنات البعول

أم عبيد لراشد ولموسى

أي هذي الأصناف أنتم فقولوا؟

ليس ينعى لها امرؤ وسدّته

مُصمّمها الوهانة العطبول

يا بني مالك عقّلت لسانى

كيف يمشي المُقيّد المعقول؟

ويختم قصيدته الحماسية مهيبا بهم عدم

تضييع الدماء "ما ضاع حق وراءه مُطالب"

دون أن ينسى أن ينذر أعداءهم بالأخذ بالثأر،

فيقول (١٣٣):

يا فراهيد أنتم نجّم المساعي

أنتم العُدّة حماة النّصول

يا سُلَيْمَ بن مالك المُنتمى قد

هدّنا السيد العميد القتيّل

قدّ أوصاله حلفت يميناً

ليس فيها لمُقسِم تحليل

لو تغاضت عنه المنون لأضحى

يهتدي بالرّعيل عنه الرّعيل

ما تضييع الدماء ماطالبتهما

فيهم سَهْمَة وصبر جميل

أي يوم لراشد ولموسى

ذاك يوم لو تعلمون ثقيل

يوم لا ينفع اتصال بقرى

يوم لا العذر عندّه مقبول

فلحى الله مانع الرّوع منا

حيث يُسنّصَحُ الضَّئِيلُ الضَّئِيلُ

وَيُشَهَّرُ بَابَن نُّورٍ وَبَجِيشَه فِي الْقَصِيدَةِ

ويعرض به، وهو قائد الحملة العباسية في عُمان
سنة ٢٨٠هـ/٨٦٣م، فيقول (١٣٤):

لا يفوتُ الموتُ من حذرٍ

إنَّ وقاهُ الغابُ والغيلُ

مفرغ الأكتافِ ذو ليدٍ

مترص الأوصالِ مجدولُ

إنَّ دهرًا فلَّ حَدَّهُمُ

حَدَّهُ لَا بُدَّ مَفْلُولُ

ما بُكاهُم إنَّ هُم قَتَلُوا

صبرُهُم للقتلِ تَفْضِيلُ

إنما أَخْبَرَتِ الحربُ بَأَنَّ

نَالَهُم قَوْمُ أَرَاذِيلُ

نَالَهُم مَنْ لَا يُحْصَلُهُ

في كرامِ القومِ تَحْصِيلُ

أَعْبَدُ قِنَّ يَصَادِرُهُم

قَوْمُ أَسْوَدُ تَتَابِيلُ

فَرَأُوا أَنْ يَهْرَبُوا طُرَا

وَالطَّرْدُ مَا فِيهِ تَمْهِيلُ

بِمَشِيحٍ ثَالِطٍ وَدَمٍ

أُخْلَصَتْ مِنْهُ السَّرَاوِيلُ

قِيلَ وَالْمَقْدَارُ يَحْرُسُهُ

فَنَجَا وَالسَّرْجُ مَبْلُولُ

وفي البيت الأخير تعريض (ب ابن نور)

الذي فرَّ عندما سمع بتجمع الأزد عليه، وخروجهم

لقتاله في (دما).

ثانيًا: أثر الإسلام في شعره:

ما نكاد نفتح ديوانه الشعري، حتى نجده

في قافية الهمة يشيد ويحتفي بعلماء الحديث،

في مقطوعة من ستة أبيات، سبق وأن أشرنا

إليها في قوله (١٣٥)، (من الكامل):

أهلاً وسهلاً في الذين أودَّهم

وأحبُّهم في الله ذي الآلاء

والحب في الله من أفضل أنواع الحب.

ويشيد بفضل الحياء كقيمة من قيم الإسلام،

فيقول (١٣٦):

إن الحياة مع الحيا

وأرى البهاء مع الحياء

ويدعو إلى الهدوء والهداية للخلق فيقول (١٣٧):

فاهداً هُديت إلى الذكا

إن كنت من أهل الذكاء

ويدعو إلى الرغبة في الله والعطاء والبذل

مما أنت مستغن عنه، ويحذرننا من نار جهنم

وصلاتها، فيقول (١٣٨):

فارغب لربك في الجدا

ما أنت عنه ذو جداء

واحذر صلى نار الجحيم

فإنه شرُّ الصَّلاء

وهذه الأشعار تتدرج تحت الشعر التعليمي.

وفي رثائه لمحمد بن جرير الطبري، نراه

يقدم لمريثته بأن أحدا لا يستطيع تعليق قدر

الله، ويدعو إلى الاستجداد بالصبر وخشية الإثم

ومخافة الله والإنابة إليه، وأن يفزع إلى التسليم
بقضاء الله، والرضا بما يقضي المهيم،
فيقول^(١٣٩)، (من البسيط):

لن تستطيع لأمر الله تعقيباً
فاستجد الصبر أو فاستشعر الحوبا
وافزع إلى كنف التسليم وارض بما
قضى المهيمن مكروها ومحبوها
ويشيد بنعمة العقل التي وهبها الله للخلق،
ويوازن بين كمال العقل وقيلته، ويرجح أن من
كمل عقله فقد كملت أخلاقه، فيقول^(١٤٠):

وأفضل قسم الله للمرء عقله
فليس من الخيرات شيء يعاتبه
فَرَمُنُ الفتى في الناس صِحَّة عقله
وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يعيش الفتى بالعقل في كل لذة
على العقل يجري علمه وتجاربه
ويزري به في الناس قلة عقله
وإن كَرُمَتْ أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كَمَلَتْ أخلاقه ومآربه
ويؤكد ثقته بالله سبحانه، وعدم الكفر به
وشدة إرادته وعدم استرخائه، فيقول^(١٤١)، (من
الطويل):

أجل أن عَمُرُ الله أن تتيقظوا
وأن تتلاقوا أَمْرُكم ذا النكائث
أَيَحْسُنُ هاءُ الله خَدْعُ عَدُوكم
ويُلهيكم غرس الوديّ الجثا جث

ويبدو إيمانه بالقضاء قويا فلا مهرب منه،
ويقارن بين سعادة ذو الحظ وشقاء الحريص، رادا
ذلك إلى قضاء الله سبحانه، ويتساءل عن ملوك
حمير الذين كانت نتجه إليهم القلائص، وابن جيفر
الوهاب الذي أودى به الدهر، هذا الذي يحرص
على هدم المعالي، فيقول^(١٤٢)، (من السريع):
يسعدُ ذو الجدِّ ويشقى الحريص

ليس لخلقٍ من قضاءٍ مَحِيص
أين ملوكُ الأرضِ من جَمِيرٍ
أَكْرَمُ من نُصَّتْ إليهم قُلُوصُ؟
جَيْفَرُ الوَهَّابُ أودى به
دهرٌ على هَدْمِ المعالي حَرِيص
ويجدد إيمانه بالقدر مُقْسِماً، فيقول^(١٤٣)،
(من الخفيف):

إن هاتي الأمور عن قَدَرِ الرَّحْمِ (م)
مان يجري صُعودُها والهُبُوطُ
إن تَسَخَّطْتُ أو رَضِيتُ قَسِيَا (م)
نَ لَعْمَرِي رِضَايَ والتَّسْخِيطُ
كلُّ ما حُمٌ، أن يكون، قريبٌ
والذي لا يُحَمُّ ناءٌ نَعِيطُ
سُلِطَ الصبرُ والرَّجاءُ على النَّا
سِ سَيُغْرِيهِمَا بهِ التَّسْلِيْطُ
والقضاء والقدر من أكثر ما ظهر في ديوانه
من شعره الإسلامي، فمالك القضاء يُمضيهِ،
فيقول^(١٤٤):

ولم تر ذا حزمٍ وعزمٍ وحكمةٍ
على القَدَرِ الجاري عليه يُحَكِّمُ

متى دفع المرء الأريب بحيلة
بواذر ما يُقضى عليه فيئزَم؟
ولو كنت مُحْتالاً على القدر الذي
نبا بي لم أُسَبِّق بما هو أحرَمُ
ولكن من ثَمَلَك عليه أموره
فما لكها يُمضي القضاء فيحتم
والخير لا يمكن أن يسلك سبيل الشر، وينعى
على من يؤمن بزجر الطير، لأن الله هو الذي
يقضي، فيقول في المثلثة^(١٤٥)، (من الرجز):
لا يسلك الخير سبيل الشر
والله يقضي ليس زجر الطير
كم قمر عاد إلى قُمير
ويشير إلى الملائكة الكرام الحفظة في
قوله سبحانه: [وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ
عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] [٦١: الأنعام] مقتبساً من القرآن
الكريم، فيقول^(١٤٦):
نوم الفتى خير له من يقظة
لم ترضه فيها الكرام الحفظة
وفي صروف الدهر للناس عظة
ويدعو إلى ترك كل ما يُعْتذر منه، والخوف
من كل وزد غير محمود، فإن الحيلة لا تنفع
في القدر المقرر الماضي، فيقول^(١٤٧):
دع كل أمر منه يوماً يُعْتذر
خَفْ كل وزد غير محمود الصنَدَر
لا تنفع الحيلة في ماضي القَدَر
ويرى أن كل شيء إلى زوال، وهذا يتفق

مع النهج الإسلامي فيقول^(١٤٨):
إني أرى كل جديد بال
وكل شيء فإلى زوال
فاستكشف من جهلك بالسؤال
ولا يلبث أن يعيد الحكم في كل شيء
الله، فيقول^(١٤٩):
على أنني -والحكم لله- واتقد
بعزم يُقْضِ الخَطْبَ والخَطْبُ مُبْهَمٌ
وهذا مأخوذ من قوله ا: [إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ
يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْأَفْصِلِينَ] [٥٧: الأنعام].
وفي عيادته لمريض، يقسم بالله رب الناس
وهو الغاية بالقسم، لو أن السماء منعت القطر،
لكننت القطر الدائم النزول، فيقول^(١٥٠):
فبالله أقسم رب الورى
والله غاية ما يُقْسمُ
لو أن السماء حمت قطرها
لكننت حيا سيبه مثجم
ويتحدث عن الوحي، وعن أن الله يحرق
بالنار، فيقول^(١٥١):
لو أنزل الوحي على نَفْطويه
لَكَانَ ذَاكَ الْوَحْيُ سُخْطاً عَلَيْهِ
أحرقه الله بنصف اسمه
وَصَيَّرَ الْبَاقِيَ صُرَاخاً عَلَيْهِ
وتحت عنوان (ذكرى)، يعاهدها بعهد الله
أن يبقى على ذكراها، وكأن ذلك في عداد القسم،
فيقول^(١٥٢)، (من الطويل):

لَكَ الْعَهْدُ عَهْدُ اللَّهِ أَلَا يَزَالُ لِي
بِذِكْرِكَ أَوْ أَلْقَى الْمَنِيَّةَ شَاغِلُ
لِقَلْبِي مِنْ ذِكْرِكَ فِي كُلِّ خَاطِرٍ
تَلْهُبُ شَوْقِي إِنْ عَدَا لِي قَاتِلُ
لَبَسْتُ نَحْوَلًا لَوْ تَلَبَّسَ بِالصَّفَا
لَأَصْبَحَ مِنْهُ صَلْدُهُ وَهُوَ نَاجِلُ
لَعَلَّكَ إِنْ أَمْسَيْتُ رَهَنَ حَفِيرَةٍ
تَقُولِينَ: جَادَتْهُ الْغِيُوثُ الْهَوَاطِلُ
ونراه يقسم بعين محبوبته - ولا يجوز القسم
إلا بالله-، فيقول، (من المتقارب):
وَعَيْشُكَ لَا زِلْتُ خَلْفَ الضَّنَى
وَلَا التَّامَ بَعْدَكَ لِلْقَلْبِ لَهْوُ
وَدُونَ مَزَارِكِ لِلْيَعْمَلَاتِ
إِذَا مَا ابْتَدَلْنَ ذَمِيلٌ وَشَذُو
وَمِمَّا يَزِيدُ بَكُمْ لَوْعَةً
وُلُوعُ الْعَوَازِلِ وَالْعَدْلُ لَعُو
وَقِيْتُ بِنَفْسِي صُرُوفَ الرَّدَى
وَكُلُّ زَمَانِي صُرُوفٌ وَتَبُو
ويتحدث في المقصورة عن الرحلة الإيمانية
المفروضة على المسلم؛ فيصف الإبل التي تحمل
الحُجَّاجَ، ويصف الحجاج كذلك في هذه المسيرة
الإيمانية، ويشيد بالكعبة التي فضلها الله على
سائر بلاد الله، فيطوف ويعود مستسلماً لربه،
ثم يسعى بين الصفا والمروة، وينوي حَجًّا وعمرة،
ويصيح وينوي بالتلبية والدعاء، ويروح في الملبين
إلى أن يصل المزدلفة وعرفة، ويعدد الأركان
والشعائر التي يقوم بها الحاج، حيث يبدأ بالنية،

وما يكاد يرى الكعبة حتى تنهمر الدموع، فيأتيها
خاضعاً ذليلاً لربه، ويلمح إلى اسم جديد لعرفات
فيأتيه، ويأتي المشعر الحرام، ويرمي الجمرات
سبعاً سبعاً في عقبة الجبل وأخيراً يؤدي طواف
الوداع، حيث يعود من حجه وقد أحرز الأجر،
وتجنب الفُحْشَ وَهَجَرَ الكلام القبيح وكل ما لا
خير فيه، وبذا يكون قد أتم الأركان جميعاً،
فيقول (١٥٣):

يَحْمِلُنْ كُلُّ شَاحِبٍ، مُحَقَّقٍ
مِنْ طَوْلِ تَدَابِ الْعُدُوِّ، وَالسُّرَى
بَرٌّ، بَرَى طَوْلُ الطَّوَى جُثْمَانَهُ
فَهُوَ كَفِدْحِ النَّبْعِ، مَخْنِي الْقَرَا
يَنْوِي التي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعُلَى
لَمَّا دَخَا تُزَيْتَهَا، عَلَى الْبُنَى
حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا اسْتَعْبَرَ، لَا
يَمْلِكُ دَمْعَ الْعَيْنِ، مِنْ حَيْثُ جَرَى
ثُمَّتَ طَافٍ، وَإِنْثَى، مُسْتَسْلِمًا
ثُمَّتَ جَاءَ الْمَرْوَتَيْنِ، فَسَعَى
فَأَوْجَبَ الْحَجَّ، وَثَنَى عُمَرَةً
مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَبَّى، وَدَعَا
ثُمَّتَ رَاحَ، فِي الْمَلْبَيْنِ، إِلَى
حَيْثُ تَحَجَّى الْمَازِمَانِ، وَمَنَى
ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ، يَقْرُو مُخْبِتًا
مَوَاقِفًا بَيْنَ الْإِلَالِ، فَالْتَقَا
ثُمَّ أَتَى الْمَشْعَرَ يَدْعُو رَبَّهُ
تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً حَتَّى هَمَى
وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ، وَسَبْعًا، بَعْدَهَا
وَالسَّبْعَ، مَا بَيْنَ الْعِقَابِ، وَالصُّوَى

وراح للتوديع، فيمن راح، قد

أحرز أجراً، وقلَى هُجَرَ اللِّغَا
مما تقدم نرى أن ابن دريد اللغوي الأديب،
كان شاعراً كذلك، شاهدنا ديوانه الذي ضمَّ
هذا الشعر المتنوع الأغراض، بدءاً من المدح
(الغرض الرئيس) للشعراء كافة، وأغراضه الأخرى
التي أوماً إليها البحث، والتي بلغت ثلاثة عشر
غرضاً، فضلاً عن مقصورته المشهورة التي
تناولها الأدباء والشعراء بالمعارضة، والتوشيح
والتخميس والإعراب والشروح، وحتى الترجمة
إلى اللغات الأخرى.

واللافت للاهتمام، أن الشعر التعليمي كان
من أهم أغراضه الشعرية؛ وكأنه قد نصب نفسه
أستاذًا لجيل عصره، ولا غرو في ذلك؛ فعداد
شيوخه كثر، وتلاميذه أكثر، وعلى رأسهم أبي
الفرج الأصبهاني، وابن خالويه وغيرهم ممن
نهل من علمه، ووقف على كتبه ونتاجه الأدبي
واللغوي والفكري، وما زال حتى يومنا هذا يفيد
منه الباحثون وطلبة العلم، ويقام على نتاجه
العلمي دراسات وبحوث ومؤتمرات تُشير إلى
ثمرات علمه، أملاً بتجليته وتوضيح صورته
لتظهر على حقيقتها أكثر إشراقاً، والوقوف على
ما قدّم من فضل وعلم لهذه الأمة، بما فيه من
كنوز ولآلئ علمية نيرة، وفق الموضوعات التي
عالجها وعاشها، فلا بدّ أن يكون نجمًا
درياً في سماء الشعر والثقافة العباسية.

وقد نال الرثاء نصيباً وافراً من شعره؛

مما يدل على وفائه لمن أحسن إليه، ونقاء
سجيته وسريته، فضلاً عن الموضوعات التي
صال فيها وجال حتى بلغت أغراضه الشعرية
التي أحصيناها ثلاثة عشر غرضاً.

وقد نال الحديث عن الإسلام وخاصة
القضاء والقدر، وغيرها من الموضوعات الدينية
اهتماماً لا ينكر، -دون أن يهتم به أحد من
الباحثين-. ونلمح في شعره خطرات فنيّة عديدة
بها من الومضات واللفظات التي لا يقدر على
التقاطها وتوظيفها إلا ابن دريد. ونرى في شعره
تقليداً وتجديداً وهو يعالج موضوعاته وأغراضه
الشعرية التي أومأنا إليها في مواضعها. وقد عمد
البحث إلى تجلية هذه الأغراض، وقَدّم إضاءات
لها، نرجو أن تكون مفيدة.

وشعره قوي جزل، ومعجم ألفاظه فيها
الأصالة والبيان وشدة العارضة، والقدرة اللغوية
والبلاغية، فضلاً عن حديثه عن النحو ومعضلاته
وقدرته على تطويعه؛ ليكون أداة لوضع القواعد
في التذكير والتأنيث والمقصور والممدود بحركاته،
مستخدماً في ذلك أعضاء الإنسان، وكأنه نطاسي
يعرف مفاصله وأنسجته.

نخلص مما تقدم، أن هذا الشاعر اللغوي
الأديب، قد عاش عصره طويلاً وعرضاً، وأثر
بمجتمعه تماماً كما تأثر هو به، وعاش تجارب
عدة أثرت حياته، ومن ثم شعره وأدبه ولغته.

وترك ابن دريد بصمات ظاهرة على
صفحة عصره الذي عاش ازدهاره غصارة ورقّة.

- واستطاع أن يعالج بشعره موضوعات شتى، وقضايا كثيرة أومأنا إليها في مظانها في البحث. والله موفق،
- عزت فارس وآخرون، اللغة العربية مهاراتها وفنونها وتطبيقاتها، ط١، دار يافا، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد، دراسة وتحقيق: د. محمود جاسم محمد الدرويش، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، (د. ت).
- السيد مصطفى السنوسي، ابن دريد، حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ط١، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨١م.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، الاشتقاق، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المثنى، ط٢، بغداد، العراق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٩٧م.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، طبع مصر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٧٣م، طبع بيروت، ١٩٧٩.
- محمد بن إسحاق ابن النديم (ت ٩٩٥م)، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت).
- أبو جعفر أحمد، المحب الطبري (ت ٦٤٩هـ)، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
- إسماعيل بن القاسم أبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ)، كتاب الأمالي وذيل الأمالي والنوادر، تقديم ونشر: محمد عبد الجواد الأصمعي، مصر، ١٩٧٦م.
- علي بن أبي أحمد الحسين بن محمد الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، أمالي المرتضى، غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، ١٩٦٧م.
- أبو عبد الله بن العباس محمد اليزيدي، أمالي اليزيدي، مصورة عن طبعة الهند، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.
- أبو عبد الله بن العباس محمد اليزيدي، أمالي اليزيدي، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبى - القاهرة، (د. ت).
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (١١٠٥م)، تاريخ دمشق، ط١، دار الفكر، ١٩٩٨م.
- يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزي (ت ٦٥٤-٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٠م، ج ٢١، ص ٣٢٣.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ)، المجتنى، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- د. أحمد الشرباصي، **المقصورة في الأدب العربي**، ومقصورة رشيد رضا، ط ١، مطبعة الرسالة، القاهرة، عابدين، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (٣٢١هـ)، **الملاحن**، صححه وعلّق عليه وذيّله: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، (د ت).
- علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٤هـ)، **إنباه الرواة على أنباء النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل، مصر، ١٩٥٠-١٩٧٣م.
- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٣م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، مصر، ١٩٣٢.
- أ. د. عبد الإله أحمد نبهان، **بحث في كتاب الملاحن لابن دريد** مقدّم إلى مؤتمر المخطوطات الألفية بمكتبة الإسكندرية (٢٦-٢٨/٠٩/٢٠٠٤)، قسم اللغة العربية، جامعة البعث بحمص، سوريا.
- عبد القادر بن عمر البغدادي، (١٠٣٠-١٠٩٣)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- **ديوان ابن دريد**، جمع وتحقيق: السيد محمد بدر الدين العلوي، طبع مصر، ١٩٤٦.
- **ديوان ابن دريد وشرح مقصورته** للخطيب التبريزي، تقديم: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- علي أحمد سعيد "أدونيس"، **ديوان الشعر العربي**، ط ١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٦٤م.
- لقيط بن يعمر الإيادي (ت ٢٤٩ق.هـ-٣٨٠م)، **ديوان لقيط الإيادي**، تحقيق: عبد المجيد خان، دار الأمانة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- أبو الطيب المتنبّي أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤هـ)، **ديوان المتنبّي**، شرح أبي البقاء عبد الله العكبري البغدادي، تقديم: د. عمر فاروق الطباع، ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- عباس محمود العقاد، **شاعر الغزل، عمر بن أبي ربيعة**، مصر، ١٩٦٥م.
- **شرح مقصورة ابن دريد** للخطيب التبريزي، تحقيق: د. فخري الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، (د ت).
- أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السُّبكي (٧٧١هـ/١٣٧٠م)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح الحلو ود. محمد الطناحي، مصر، ١٩٧٦م.
- أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن بشر الزبيدي (ت ٩٧٩هـ)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٤م.

- محمد بن مكرم بن منظور (٦٣٠هـ)، **لسان العرب**، إعداد وتصنيف: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، (د. ت).
- علا الدين علي بن حسام الدين المنقي الهندي (٩٥٧هـ)، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- أبو الفضل النيسابوري الميداني (٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات دار النصر، دمشق، بيروت.
- مختار الصّاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، (د. ت).
- عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي (٩٦٢)، **مراتب النحويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٣٤٦هـ.
- علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت) (٣٦٤هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٣٤٦هـ.
- ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (توفي ٦٢٢/٦٢٦هـ - ١٢٢٥/١٢٢٨م)، **معجم الألباء**، مصر، ١٣٢٣هـ؛ الهند، ١٩٢٣م.
- محمد بن عمران بن موسى المرزباني (٣٨٤هـ)، **معجم الشعراء**، تحقيق: عبد الستار فراج، مصر، ١٩٠٦.
- محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري (٣٠٤هـ)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٣٩٤هـ.
- شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر البرمكي ابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، **وَفَيَاتُ الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مصر، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م.

الهوامش:

- (١) ترجمته في: المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج ٤، ص ٣٢٠-٣٢١. أبي الطيب اللغوي، **مراتب النحويين**، ص ١٣٥-١٣٦. الأزهري، **تهذيب اللغة**، ج ١، ص ٣١. الزبيدي، **طبقات النحويين واللغويين**، ص ١٨٣-١٨٤. ابن النديم، **الفهرست**، ص ٦٧. **معجم الشعراء للمرزباني باختصار اليفغوري**، ص ٢٢٥-٢٢٦. الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج ٢، ص ١٩٥-١٩٧. ابن الأنباري، **نزهة الألباء**، ص ١٩١-١٩٤. **الياقوت الحموي، معجم الألباء**، ج ١٨، ص ١٢٧-١٤٣. عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١، ص ٤٩٩-٥٠٠. القفطي، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، ص ٢٧٩-٢٨٣. الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج ٣، ص ٨١٠. السبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، ج ٣، ص ١٣٨-١٤٢. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١١، ص ١٧٦. ابن قاضي

- شبهة، طبقات النحاة واللغويين، ص ٧٣-
٨٦. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،
ج ٢، ص ٢٨٩-٢٩١. البغدادي، خزانة الأدب
ولب لباب لسان العرب، ج ١، ص ٤٩٠-٤٩١.
الزركلي، الأعلام، ج ٦، ص ٨٠. وقفيات
الأعيان، ج ٤، ص ٤٢٣-٤٢٥. معجم الأدباء،
ج ١٨، ص ١٢٨.
- (٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٤، ص ٣٢١.
الملاحن، ص ٨.
(٣) ديوانه، ص ٢٤.
(٤) رواه أبو هريرة، وذكره الأمام أحمد في مسنده،
رقم الحديث ٨٦١٥، ج ١٤، ص ١٤. أمالي
اليزيدي، ص ١٠٢.
(٥) الاشتقاق، ص ٢٩٢-٢٩٤.
(٦) الملاحن، ص ٧-٨. أمالي المرتضى، ج ٢،
ص ١٤٨.
(٧) مادة دَرَدَ، ابن منظور، لسان العرب المحيط.
(٨) ديوانه، ص ٨. الملاحن، ص ١١.
(٩) ابن النديم، الفهرست، ص ٦١.
(١٠) ابن دريد، حياته وتراثه اللغوي والأدبي،
ص ٢٦-٣٤.
(١١) الملاحن، ص ١٢.
(١٢) مراتب النحويين، ص ٨٤. المجتبى، ص ١٢.
(١٣) نزهة الألباء، ص ٣٢٣. ديوانه، ص ١٤-
١٥.
(١٤) تاريخ بغداد، ج ٢، ص ١٦.
(١٥) الملاحن، ص ٧. وقفيات الأعيان وأنباء
أبناء الزمان، ج ١، ص ٤٩٧-٤٩٨. المجتبى،
ص ١٤.
- (١٦) أنباه الرواة، ج ٣، ص ١٥٥.
(١٧) المجتبى، ص ١٢-١٨. معجم الألباء، ج ١٨،
ص ١٣٩.
(١٨) طبقات الشافعية، ج ٣، ص ١٣٨.
(١٩) الاشتقاق، ص ٢٢.
(٢٠) بحث مقدم إلى مؤتمر المخطوطات الألفية
بمكتبة الإسكندرية، ٢٦-٢٨/٩/٢٠٠٤.
(٢١) بحثه السابق، ص ٢.
(٢٢) ص ٢٠-٢٥.
(٢٣) الملاحن، ص ١٢. مقدمة الاشتقاق، ص ١٢.
(٢٤) مراتب النحويين، ص ٨٤.
(٢٥) الاشتقاق، ص ١٣.
(٢٦) معجم الألباء، ج ١٨، ص ١٣١. ديوانه،
ص ١٤.
(٢٧) مقدمة الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون،
ص ١٣.
(٢٨) الجهمرة، ص ٣.
(٢٩) مقدمة الجهمرة، ص ١٢.
(٣٠) مقدمة الجهمرة، ص ١٢. ديوانه، ص ٣٧.
(٣١) معجم الألباء، ج ٨، ص ١٣٩.
(٣٢) المجتبى، ص ١٣. معجم الألباء، ج ١٨،
ص ٣٩.
(٣٣) ديوانه، ص ٢٨.
(٣٤) معجم الألباء، ج ١، ص ١٣٥. إنباه الرواة،
ج ٣، ص ٩٥.
(٣٥) شرح المقصورة، ص ٥٩-٦٠، (ولا اطَّبي
عيني، ولا استمال عيني، الشناخيب: واحدها
شَنْخُوبٌ، والشَنْخُوبَةُ والشَنْخُوبُ والشَنْخَاب:
أعلى الجبل، وشناخيبُ الجبال رؤوسها،

وفي حديث علي -كرم الله وجهه-: " ذواتُ
الشناخيب الصُّمُّ": هي رؤوس الجبال العالية
(لسان العرب: مادة شَنَخَبَ)، الدَّحْل: نقبٌ
ضيق فمه ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه،
بئر دحول؛ أي ذات تلجفٍ إذا أكل الماء
جوانبها، (لسان العرب، مادة دحل).

(٣٦) مقدمة الجمهرة، ص ٣. مقدمة الإشتقاق،
ص ٤.

(٣٧) المجتئى، ص ٣٢-٣٣. ابن دريد، حياته
وترائنه اللغوي والأدبي، ص ٦٦.

(٣٨) ديوانه، ص ٣٠ (الدمائث: ما سهل ولان،
أحدها دميثة؛ ومنه قيل للرجل السهل الطلق
الكريم: دميث. وفي صفته ٥ دَمِث ليس
بالجافي (لسان العرب، مادة دَمِث)، (الأساريح:
دودٌ حمُرُ الرؤوس بيض الأجساد تكون في
الرمل تشبه بها أصابع النساء (لسان العرب:
مادة سرع)، (العتاعث: مفردها عتة، وهي
المرأة المحقورة الخاملة، ضاوية كانت أو
غير ضاوية، العثعث: الشدائد، وفي الحديث:
ذُكر لعلي -كرم الله وجهه- زمانٌ، فقال:
ذاك زمان العتاعث: أي الشدائد، من
العتثة والإفساد، لسان العرب: مادة عثث)،
(الحقوف: الحقفُ من الرمل: ما اعوج
واستطال، وجمعه أحقاف وحُقوف وحِقَافٌ
وحِقَقَةٌ: ومنه قيل لما اعوج. وقوله تعالى:
[إِذْ أَنْذَرْتُ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ]، فقيل: هي من
الرمال، أي أنذرهم هنالك (لسان العرب:
مادة حقف).

(٣٩) ديوانه، ص ٣٢، (المغالث: غلث الزند غلثاً،

واغلث: لم يور، اغلثتُ الزند: انتجيتُهُ من
شجرة لا ندري أيوري أم لا، الغلث: الخلط
(لسان العرب: مادة غَلَثَ)، المغارث: الغَرثُ:
أيسر الجوع؛ وقيل: شدته؛ وقيل: هو الجوع
عامة (لسان العرب: مادة غَرَثَ)، الجبس:
الثقل من الرجال، الكنايث: الذي تداخل
بعضه ببعض، الناويات: جمع ناوية السمينه،
المثائث: التي يرشح سمها من جلدها.

(٤٠) ديوانه، ص ٣٣ (أربث: تعهدت به).

(٤١) ديوان لقيط الإبادي، ص ٣٧. اللغة العربية
مهاراتها وفنونها وتطبيقاتها، ص ٧٤. ديوان
الشعر العربي، الكتاب الأول، ص ٣٤.

(٤٢) فقيه محدث، ومقرئ، ديوانه، ص ٧١.

(٤٣) ديوانه، ص ٧١، (نهنه: امنع، طلى الأعناق:
أصولها).

(٤٤) ديوانه، ص ١٩.

(٤٥) ديوانه، ص ٥٥.

(٤٦) ديوانه، ص ٧٢.

(٤٧) ديوانه، ص ٤٨.

(٤٨) ديوانه، ص ٩١.

(٤٩) نفطويه: كما عرّفه الديوان: هو إبراهيم بن
محمد بن عرفة (توفي سنة ٣٢٣هـ)، من ولد
المهلب بن أبي صفرة، نحوي سكن بغداد،
وحدث، وكان صدوقاً وله مؤلفات كثيرة،
والأبيات التي تروى له في هجاء ابن دريد:

ابن دريد بقرة وفيه عي وشره
ويدعي من حمقه وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيّر

(٥٠) ديوانه، ص ٩٢.

- (٥١) ديوانه، ص ٤٩.
- (٥٢) الديوان، ص ٦٧، تحقيق: السيد العلوي.
- (٥٣) ديوانه، ٨٢.
- (٥٤) ديوانه، ص ٨٢-٨٣.
- (٥٥) مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٥٨.
- (٥٦) ديوانه، ص ٥٦-٥٧.
- (٥٧) الديوان، ص ٧٧، جمع وتحقيق: السيد محمد بدر الدين العلوي.
- (٥٨) الديوان، ص ٧٧، جمع وتحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي.
- (٥٩) ديوانه، ص ٨٩، سحبان وائل: سحبان بن زُفر بن إياس، وهو منسوب إلى وائل باهلة، من خطباء العرب الذين يُضرب بهم المثل فيقال: "أخطبُ من سحبان وائل"، وقد أورده ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ضمن قسم المخضرمين الذين أسلموا في زمن النبي ﷺ ولم يجتمعوا به و توفي سنة ٥٤ هـ ومن قوله: **لقد علم الحيُّ اليمانون أنني إذا قلتُ أما بعدُ، أني خطيبها. (مجمع الأمثال م ١، ص ٢٤٩).**
- (٦٠) الديوان، ص ٨٢-٨٥.
- (٦١) ديوانه، ص ٢٥-٢٨.
- (٦٢) ديوانه، ص ٥٠ (في القصيدة إقواء).
- (٦٣) الديوان، ص ٥٠، تحقيق العلوي.
- (٦٤) ديوانه، ص ٤٢.
- (٦٥) ديوانه، ص ٣٣.
- (٦٦) ديوانه، ص ٣٤. الديوان، ص ٦٦ (ابتأرت: فعلت في الخفاء).
- (٦٧) ديوانه، ص ٩٥.
- (٦٨) مجمع الأمثال، م ٢، ص ٣١٠.
- (٦٩) كنز العمال، ج ١٢، ص ٨٠٤. تاريخ دمشق، ج ٤٤، ص ٢٦٠. تهذيب الكمال، ج ٢١، ص ٣٢٣. الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج ١، ص ١٩٠.
- (٧٠) مجمع الأمثال، م ٢، ص ٢١٥.
- (٧١) ديوان المتنبي، ج ١، ص ٢٦٢.
- (٧٢) مجمع الأمثال، م ٢، ص ٢٦٥.
- (٧٣) ابن خالويه وجهوده في اللغة مع تحقيق كتابه شرح مقصورة ابن دريد، ص ١٠٣.
- (٧٤) الديوان، ص ٤٦. شرح مقصورة ابن دريد، ص ٧٠.
- (٧٥) ديوانه، ص ٤٦.
- (٧٦) ديوانه، ص ٧٠ (الجلنار: زهر الرمان).
- (٧٧) ديوانه، ص ٤٠.
- (٧٨) الديوان، ص ٣٩.
- (٧٩) الديوان، ص ٣٦، تحقيق: العلوي، (الصلقة: الواقعة الشديدة، المصمثلة: المفطعة، بنات الدجى: كناية عن المطايا لكثرة سيرها بالليل، الخناث: المتكسرة الهائلة، الهئات: الأصوات للجن كالعزف لها، الكناث: التراب المنزرو).
- (٨٠) الديوان، ص ٦٥.
- (٨١) ديوانه، ص ٣٣ (المحزلات جمع محزئل: المرتفع، إحزأل: ارتفع واجتمع، صدر محزئل: أي مرتفع (لسان العرب مادة حزل)، الوثار: المحشوة، الأثاث: اللينة).
- (٨٢) ديوانه، ص ٤٠ (الكاعب: من نهذ ثدياها، الرؤد: المتناقلة في مشيتها).
- (٨٣) ديوانه، ص ٧٠.

- (٨٤) الديوان، ص ٨١، تحقيق: العلوي، (الوساع: الواسع الخطو، القُطُف: مداركة الخطو ومقاربتة، النزيف: السكران).
(٨٥) ديوانه، ص ٤٥.
(٨٦) الديوان، تحقيق: السيد العلوي، ص ٧٢.
(٨٧) الديوان، تحقيق السيد العلوي، ص ٧١-٧٢.
(٨٨) ابن دريد، حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ص ١٨٦.
(٨٩) ديوانه، ص ١١٧، (داء دوي: مهلك)
(٩٠) ديوانه، ص ٧٠-٧٠.
(٩١) الديوان، ص ٢٨، تحقيق: السيد العلوي.
(٩٢) ديوانه، ص ٤٨.
(٩٣) ديوانه، ص ٢٩.
(٩٤) شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، ص ٣٧-٣٨، عباس محمود العقاد.
(٩٥) شرح المقصورة للتبريزي، ص ٦٣-٦٤، ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ص ١٥٣-١٥٤، (وهنانة: طيبة الحديث، غسا: أظلم، والظلم بالفتح ماء الأسنان وبريقها وهو كالسواد داخل عظم السن من شدة البياض كفرند السيف وجمعه ظُوم، لسان العرب: مادة ظلم)، ص ٣٤٦، مختار الصحاح للرازي).
(٩٦) الديوان، ص ٧٨، (ملحمد: من الحمد).
(٩٧) الديوان، تحقيق: السيد العلوي (الخير: والغريف: شجر ملف)، ص ٨٠.
(٩٨) ديوانه، ص ٧٨ (الجراميز: جمع جُرموز، يقال: ضم فلانٌ إليه جراميزه إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى، رماه بجراميزه:
(٩٩) شرح المقصورة، ص ٥٩-٦٠.
(١٠٠) فآه: شقه وفصله، فانفأى: فانشق.
(١٠١) شرح المقصورة، ص ٤١. ابن دريد حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ص ١٥٢-١٥٣ (أورارات: يوم من أيام العرب، ومكانها يسمّى وارة في دولة الكويت الآن).
(١٠٢) الديوان، تحقيق: السيد العلوي، ص ٢٠.
(١٠٣) الديوان، تحقيق: السيد العلوي، ص ٢٣.
(١٠٤) ديوانه، ص ٢٦. مجمع الأمثال، م ٢.
(١٠٥) شرح المقصورة، ص ٢٤ (ابن الأشج: هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، وكان أبو بكر الصديق t قد زوج الأشعث أخته).
(١٠٦) ديوانه، ص ٤١.
(١٠٧) ديوانه، ص ٩٣.
(١٠٨) ابن دريد، حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ص ١٨٧.
(١٠٩) ديوانه، ص ٤٣-٤٤.
(١١٠) ديوانه، ص ٢٠.
(١١١) ديوانه، ص ٢٢.
(١١٢) ديوانه، ص ٢٣.
(١١٣) ديوانه، ص ٢٣.

- (١١٤) ديوانه، ص ٢٤.
- (١١٥) ديوانه، ص ٦٥.
- (١١٦) ديوانه، ص ٦٥.
- (١١٧) ديوانه، ص ٦٦ (الزيم: عظم الورك، دُهيق: قُطَّع).
- (١١٨) ابن دريد، حياته وتراثه اللغوي والأدبي، ص ٢٨٥.
- (١١٩) ديوانه، ص ١٠٣.
- (١٢٠) ديوانه، ص ١١٧.
- (١٢١) الديوان، تحقيق: السيد العلوي، ص ٩٥.
- (١٢٢) ديوانه، ص ٤٤.
- (١٢٣) الديوان، تحقيق: السيد العلوي، ص ٥٤.
- (١٢٤) شرح المقصورة، ص ١٣.
- (١٢٥) الديوان، تحقيق: السيد العلوي، ص ٦٨.
- (١٢٦) ديوانه، ص ٢٨.
- (١٢٧) ديوانه، ص ٤٧.
- (١٢٨) ديوانه، ص ٧٤.
- (١٢٩) ديوانه، ص ٣٦.
- (١٣٠) ديوانه، ص ٥٣.
- (١٣١) ديوانه، ص ٥٤ (الشحيط: البعيد، يلبط: يلتصق ويُحَبِّبُ إلى القلب، قريف: غير راغب فيه، وخيط: نابذ له).
- (١٣٢) ديوانه، ص ٧٧-٧٨.
- (١٣٣) ديوانه، ص ٨١.
- (١٣٤) ديوانه، ص ٨١-٨٢ (تتايل: جمع تنبال، وهو القصير القامة، المشيح: الخليط من جنسين، الثالط: الملوث بالغائط السائل، أخلصت: صار لها لون الخلوص، وهو رُبُّ يتخذ من التمر).
- (١٣٥) ديوانه، ص ١٩.
- (١٣٦) ديوانه، ص ٢١.
- (١٣٧) ديوانه، ص ٢١.
- (١٣٨) ديوانه، ص ٢٢.
- (١٣٩) ديوانه، ص ٢٥.
- (١٤٠) ابن دريد، حياته، وتراثه اللغوي والأدبي، ص ٢٣٩.
- (١٤١) ديوانه، ص ٣٥. (هاء الله: قسم)، الودي: الفسيل من النخل، الجَاجِث: المقصورة من تحت أمها قصد غرسها.
- (١٤٢) ديوانه، ص ٤٩ (جيفر: هو ابن الجلندي ملك عُمان في عهد النبي ع، وقد أسلم مع أخيه "عبد علي" على يد عمرو بن العاص، نصت الدابة: استحثها على السير).
- (١٤٣) الديوان، ص ٥٣، تحقيق: السيد العلوي.
- (١٤٤) ديوانه، ص ٨٥.
- (١٤٥) ديوانه، ص ٩٦.
- (١٤٦) ديوانه، ص ٩٧.
- (١٤٧) ديوانه، ص ٩٧.
- (١٤٨) ديوانه، ص ٩٧.
- (١٤٩) ديوانه، ص ٨٦.
- (١٥٠) ديوانه، ص ٨٨.
- (١٥١) ديوانه، ص ٩٢.
- (١٥٢) ديوانه، ص ١١٤. المجتئ، ص ٢١-٣٥.
- (١٥٣) شرح مقصورة ابن دريد، ص ٥٠-٥٢.